كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

التجديد في ديوان أحمد الشريف (صور وعبر)
دراسة نقدية أدبية

إعداد

د / آمال أحمد خليل مخلوف

أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية البنات الإسلامية بأسيوطِ

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الأول ـ الجزء الثاني)

(١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م)

التجديد في ديوان أحمد الشريف (صور وعبر) دراسة نقدية أدبية

آمال أحمد خليل مخلوف
قسم الأدب والنقد بكلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر– أسيوط – مصر
البريد الإلكتروني : Amaalmakhlof.8719@azhar.edu.eg

الملخص :
يتناول هذا البحث مظاهر التجديد في ديوان أحمد الشريف ، وهو يقوم على مرتكزين ، المرتكز الأول يعرض الجوانب النظرية النقدية عند أحمد الشريف ، أما المرتكز الثاني فيعرض شعر أحمد الشريف التجديدي في ديوان (صور وعبر) من الوجهة الفنية. ويقوم هذا البحث على المنهج الفني ، ومن جهة الدراسات السابقة فإنني لا أعلم أنه توجد دراسة بهذه التركيبة التي تركب منها هذا البحث.
الكلمات المفتاحية : التجديد – ديوان – أحمد الشريف – شعر – دراسة نقدية .

The innovation in divan Ahmed Elshreef (images and lessons) Literary critical study

Amal Ahmed Khleel Makhlof
Department of Literature and criticism - Islamic College for Girls – Al-Azhar University - Assuit - Egypt .
Email : Amaalmakhlof.8719@azhar.edu.eg

Abstract :

This research explains The innovation in divan Ahmed Elshreef. It is based on two pillars. The first pillar presents The critique theorem aspects of Ahmed Al-Sharif. The second pillar presents The innovation poetry of Ahmed Elshreef in divan (images and lessons) art aspect. This research is based on the artistic method. From the previous studies side, I do not know that there is a study with this formula from which this research is based

Keywords **: The innovation – divan - Ahmed Elshreef – poetry- critical study**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، سبحانه الحكم العدل ، والصلاة ، والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته إلى يوم الدين ، ثم أما بعد :

فهذا بحثي بعنوان :

(التجديد في ديوان أحمد الشريف (صور وعبر) دراسة نقدية أدبية)

قد كان السبب في كتابته هو ما وجدته في ديوان بعنوان (صور وعبر) للشاعر أحمد إبراهيم الشريف من نقدات أدبية كتبها هذا الشاعر في هذا الديوان تستحق البحث ، والدراسة ، وأيضا ما وجدته من أشعار تجديدية في هذا الديوان لأحمد إبراهيم الشريف .

ومن هنا جاءت خطتي في هذا البحث بالطريقة الآتية :

المقدمة : في سبب كتابة البحث ، والخطة ، والمنهج ، والدراسات السابقة .

التمهيد : نبذة عن الشاعر أحمد إبراهيم الشريف .

المبحث الأول : الجوانب النظرية النقدية للتجديد عند أحمد الشريف في ديوانه (صور وعبر) :

الجانب الأول : نقد أحمد الشريف للشعر التقليدي السابق للبارودي .

الجانب الثاني : المراد بالتجديد ، والجديد عند أحمد إبراهيم الشريف .

الجانب الثالث : مناقشة الشريف لأصحاب الشعر الحر الذين تخلوا عن الوزن والقافية .

الجانب الرابع : موقف الشريف من الأسلوب في الشعر الحر .

الجانب الخامس : موقف الشريف من لغة الشعر الجديد .

الجانب السادس : موقف الشريف من مضمون الشعر الحر الجديد الذي يسميه أصحابه .

الجانب السابع : إيراد الشريف نماذج تجديدية للشعر العربي .

الجانب الثامن : موقف الشريف من التأثر بغير العرب في ميدان الشعر .

الجانب التاسع :موقف الشريف من التجديد في شعره .

المبحث الثاني : شعر أحمد الشريف التجديدي في ديوان (صور وعبر) من الوجهة الفنية .

النوع التجديدي الأول .

التجديد من خلال الصياغة على الموشحة .

النوع التجديدي الثاني

التجديد من خلال الأقصوصة الشعرية .

النوع التجديدي الثالث .

الرسالة الشعرية .

النوع التجديدي الرابع .

التجديد من خلال الاشتراك مع شاعر غيره في بناء قصيدة .

النوع التجديدي الخامس .

ترجمة بعض القصائد الأجنبية شعرا .

الخاتمة : في الجديد في البحث .

المصادر والمراجع .

وأما منهج هذا البحث فهو المنهج الفني .

وأما الدراسات السابقة فإنني لا أعلم أنه توجد دراسة بهذه التركيبة التي تركب منها هذا البحث .

تمهيد

نبذة عن الشاعر أحمد إبراهيم الشريف

توجد مشكلة في اشتباه اسم الشاعر صاحب ديوان [صور وعبر] محل هذا البحث مع غيره . ومن هنا سوف أوضح هنا الترجمة المحددة بالآتي :

اسمه ، ومكان ، وزمان مولده :

" أحمد إبراهيم الشريف (مصر) ولد عام ١٩٢٦ في مدينة أسوان " [١]

نشأته وطفولته :

يمكنني أن أستنبط من شعر الشاعر تصورا عن نشأته حيث قال :

تـــذكرت أيـــام الطفولـــة عنـــدما ... ســـمعت أذان العصـــر ذات شـــتاء
أصـــائل كانـــت قـــوتي وعرامتـــي ... يضيق بها جلـــدي وفضـــل ردائـــي
يكاد فضـــاء الرحـــب ألا يحـــوطني ... بما كـــان مـــن أرض لـــه وســـماء
أنـــام فـــلا يعرونـــي الهـــم نائمـــا ... وآكـــل لا أخشـــى علـــى أمعـــائي
وأســـهد إن شـــئت الســـهاد تمتعـــا ... بمنظـــر أفـــلاك تـــبص إزائـــي
وأترك هذا الكون طرا بمـــا حـــوى ... وأدخـــل مـــن نفـــس بـــدار بضـــاء
فلا يســـتطيع الكـــون أن يســـتفزني ... ويخرجنـــي مـــن خلـــوتي وثـــوائي
ولم أك أخشـــى أن تخـــر ســـقافها ... علـــي ولا أخشـــى بـــوادر داء
ولا هربـــا منهـــا أروم مبـــادرا ... إلـــى نخـــوة مـــن صـــحبة وإخـــاء
أعابـــث أمـــي أو أنـــاقش والـــدي ... بأســـئلة ملآنـــة وخـــواء " [٢]

أستنبط من هذه الأبيات أن طفولة أحمد الشريف كانت تحلق في جـــو مـــن الانطلاق مع النفس من دون الارتباط بغيره من الأصحاب ، وكان أبـــوه ، وأمـــه مصدري معارفه ، ومعلوماته .

تعليمه :

" التحق بقسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة) ، وتخرج فيه عام ١٩٤٩ " (٣)

يفيد هذا النص أن الشاعر كان قد انتقل من مدينة أسوان إلى مدينة القاهرة طلبا للعلم الذي يهواه وهو الفلسفة ، ثم حصل على الليسانس من كلية الآداب وذلك يدل على أن ثقافته كانت متنوعة ؛ بسبب طبيعة الدراسة في كلية الآداب التي تتسم بالغزارة ، والتنوع .

وظائفه :

" عمل مدرسا في أسوان والقاهرة ، والخرطوم ، والإسكندرية ، وبور سعيد ، وفي عام ١٩٨٨دخل ميدان العمل السياسي الشعبي حيث انتخب رئيسا للمجلس الشعبي المحلي لمحافظة أسوان ، عضو في اتحاد الكتاب العام ، ومجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين بأسوان " (٤)

وواضح من هذا النص أن العمل في التدريس ، وفي اتحاد الكتاب العام قد ساعداه على الاهتمام بفن الشعر ، والتعرف على الآداب العالمية فنتج عن ذلك ديوانه الذي بعنوان (صور وعبر)

مؤلفاته :

يقول كامل سليمان الجبوري :

" تنوعت أعماله العلمية بين التأليف ، والتحقيق ، والترجمة ، ومنها : (المدخل إلى شعر العقاد) ، و(العقاد وأسرة محمد علي) ، و (شواهد من شعر العقاد) ، إلى جانب كثير من المقالات في مجالات الرسالة ، والمجلة ، وتراث الإنسانية ، والفكر المعاصر ، والفيصل وغيرها " (٥)

وقد أخطأ كامل سليمان الجبوري في قوله (المجالات) ، والصواب المجلات بدليل أنه ذكرها صحيحة حينما غير عنوان كتابه ، وجعله بعنوان معجم

الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م حيث قال في ج١ ص ٧٥ (مجلات) منشورات محمد علي بيضون طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ٢٠٠٢م .

المبحث الأول

الجوانب النظرية النقدية للتجديد [٦] عند أحمد الشريف في ديوانه صور وعبر

الجانب الأول

نقد أحمد الشريف للشعر التقليدي [٧] السابق للبارودي

بدأ أحمد إسماعيل الشريف في نقده للشعر التقليدي الذي كان معروضا قبل محمود سامي البارودي بقوله :

" منذ حين والشعر العربي ميدان لمعركة بين الجديد ، والتجديد ؛ وذلك لأن القديم قد خرج من المعركة واكتفى بما حققه في سالف العصر ، والأوان من مجد تليد .

وأقصد بالقديم ذلك النوع من الشعر الذي كان مألوفا قبل مائة سنة في العالم العربي ، الشعر الذي لا تثيره في نفس الشاعر إلا المناسبات المتواضع عليها كالمدح ، والرثاء ، والتهنئة والغزل ، والذي لا تتعدى بلاغته ما درسه الشاعر من أسس البلاغة في أروقة الأزهر ومساجده ، ولا تتعدى معانيه ، ومبتكراته أن تكون تخريجا مستحدثا طريفا لمعنى قاله جاهلي أو إسلامي ، أو شاعر ممن يحق للنحاة أن يستشهدوا بشعرهم على قاعدة ما ، ولا تزيد البراعة فيه على أن يتمكن الشاعر من تسجيل التاريخ من خلال حساب الحروف ، أو من تشطير قصيدة كان لها في ميدان الأدب نصيب منظور . هذا النوع قد تلقى أول معول فيه على يد محمود سامي البارودي ، وتلقى آخر مسمار في نعشه على يد عباس محمود العقاد "[٨]

وتعليقي عى هذا النص النقدي من النواحي الآتية :

الناحية الأولى :

أن الشاعر الناقد أحمد الشريف يريد أن يقلل من شأن الشعر العربي في عهد العثمانيين أي قبل مائة سنة من مجيء البارودي . وهذا التقليل يفضي إلى ظلم الشعر في عهد العثمانيين لأن الواقع في هذا العهد لم يكن مرحلة انحطاط للشعر ، وإنما الذي حدث هو وقوع الشعر في عهد العثمانيين في براثن ترويج أعداء الإسلام لوصم الشعر العربي بالانحطاط ؛ لأسباب سياسية ، وغيرها ، ونتج عن هذا الترويج السيئ طمس جوانب الإشراق ، والازدهار في الشعر في عهد العثمانيين بدليل قول جورجي زيدان وهو من المروجين لضعف الشعر العربي في ذلك العهد العثماني :

" فسدت ملكة اللسان ، وجمدت القرائح ، وأصاب الشعر ما أصاب سائر الآداب العربية في هذا العصر من الضعف ، والانحطاط لما استولى من الجمود على القرائح ،وتوالى على الأمة من الذل في تلك الفترة المظلمة " [٩] .

فكانت الحروب الصليبية ، وما تلاها ضد العرب ، وضد العثمانيين سببا من أسباب طمس قوة الشعر العربي ، وقد كان جورجي زيدان واحدا من هؤلاء المغرضين .

الناحية الثانية :

إن أحمد الشريف قد عاب على الشعر العربي الذي كان قبل البارودي بمائة سنة يعني في عهد العثمانيين من ناحية أنه شعر مناسبات في المدح ، والرثاء ، والتهنئة ، والغزل بمعنى أنه خال من العاطفة ، وبارد في التجربة الشعورية ، وخال من الطبع ، والموهبة . وأنا أعترض عليه ؛ لأنه ليس كل شعر مدح ، أو تهنئة ، أو رثاء ، أوغزل قد ورد في عهد العثمانيين متسما بالخلو من العاطفة ، ومتسما بالبرود في التجربة الشعرية . ومن هنا أؤيد اعتراضي باقتباسة من كلام

الدكتور / أحمد حامد حجازي هي : " حالة الشعر في هذا العصر : شعر الطبع : على النقيض مما زعم كثيرمن مؤرخي الأدب من ضعف الأدب العثماني ، وانحطاط الشعر فيه ــ تثبت دواوين الشعراء ــ في معظمها في هذا العصر جودة الشعر في هذا العصر وصدوره عن طبع ، وتلقائية ، وارتجال أحيانا ، وأن القليل منه اتسم بالتكلف ، وأن المتكلفين أدعياء الشعر قد بالغوا في الجري وراء محسنات باردة تلقفها المتحاملون من مؤرخي الأدب المتعجلين لوصم هذا العصر جميعه بالتكلف ، والسطحية ، وبرود العاطفة ، بل أكدوا خلو هذا العصر ممن يستحق لقب شاعر ، أو صفة أديب !! دونما تمحيص ،وتحقيق ، وإنما صدرت أحكامهم في تعميم غير دقيق ، ونماذج الشعر الجيد كثيرة يصعب حصرها حتى في الغرض الواحد " (١٠)

فهذا النص يدل على أن الشعر في العصر العثماني لم يكن منحطا ، ولا متخلفا ، ولا متجمدا ومن هنا كان الترويج من طرف أعداء العثمانيين ، والعرب مشوها للشعر العربي في ذلك العهد ؛ لأغراض سياسية ، ودينية ، واجتماعية ، وغيرها . وبناء على ذلك ليس كل شعر مناسبات بخال من العاطفة القوية ، وليس كل شعر مديح ، أو تهنئة ، أو رثاء ، أو غزل بخال من القوة الفنية . ومن أجل ذلك كان اعتراضي على أحمد إبراهيم الشريف في مقولته السابقة

الناحية الثالثة :

إنني أعترض على قول أحمد إبراهيم الشريف الوارد في قوله السابق :

" والذي لا تتعدى بلاغته ما درسه الشاعر من أسس البلاغة في أروقة الأزهر ، ومساجده "

وسبب اعتراضي هو أن قوله هذا يعطي إيحاء بأن دراسة البلاغة في الأزهر تجعل الشاعر لا يواكب النهضة الحديثة . ولكن الواقع يخالف إيحاءه ؛

لأن دراسة البلاغة في الأزهر تعد ضابطة للغة الشاعر من الناحية التركيبية الفنية والجمالية ، وموجهة له توجيها دقيقا .

الناحية الرابعة :

إنني أعترض على قول أحمد الشريف في قوله السابق :

" ولا تتعدى معانيه ، ومبتكراته أن تكون تخريجا مستحدثا طريفا لمعنى قاله جاهلي ، أو إسلامي ، أو شاعر ممن يحق للنحاة أن يستشهدوا بشعرهم على قاعدة ما "

وسبب اعتراضي هو أن أحمد الشريف يريد أن يلغي قيمة الاسترشاد بالمعاني الواردة في القصائد التي تعد المثل الأعلى للشعر ، والنماذج التي ينبغي أن تحتذى مع أن نقد الشعر لا يمنع أن يتحدث الشاعر في معنى سابق بشرط أن يكون هذا المعنى مقدما من خلال مشاعر الشاعر ، ومن خلال تجربته الشعرية المستقاة من دمه ، ونفسيته .

الناحية الخامسة :

إنني أعترض على قول أحمد الشريف السابق :

" ولا تزيد البراعة فيه على أن يتمكن الشاعر من تسجيل التاريخ من خلال حساب الحروف أو من تشطير قصيدة كان لها في ميدان الأدب نصيب منظور " .

وسبب اعتراضي هو أنه لم تكن كل الأشعار في العهد العثماني مبنية على توظيف حساب حروف الجمل ، ولم تكن كل الأشعار مشطرة ، وإنما وجدت وجد بعض الشعر من هذا النوع ولكنه لم يكن عند كل الشعراء فلماذا نترك الحسن من الشعر في عهد العثمانيين ، ونروج لغير الحسن ؟ إن النظرة العادلة توجه إلى ذكر المحاسن قبل ذكر المساوئ .

الجانب الثاني

المراد بالتجديد والجديد عند أحمد إبراهيم الشريف

قد تكلم الشاعر الناقد أحمد الشريف في ديوانه عن المراد بالتجديد ، والمراد بالجديد فقال :

" فأما التجديد فهو كما أفهمه لفظ يفترض التراث القديم ، والمحافظة عليه في جوهره ، كما يفترض إدخال التعديل عليه بما يجعله مناسبا للعصر بالزيادة هنا ، وبالنقص هناك ، وهذا ما لا ينطبق على الشعر الحر [١١] الذي أسميه الجديد ؛ لأنه ليس باستمرارا لقديم .

وتحسينه . بل هو ابتداع شيء جديد ربما كان استمرارا لشيء غريب استوردوه ، وربما كان تحقيقا لمبدأ ، أو لفكرة ، وربما كان خدمة لهدف واضح ، أو لهدف غامض ، وربما كان كل هذا ، وربما كان غير هذا كله ، ولكنه ليس استمرارا لقديم عربي موروث ، ولقد كانت أكبر سمات هذا الشعر الجديد أنه تنازل عن الوزن [١٢] اعتقادا من أصحابه أن الوزن له ضرران :

أحدهما إلزام الشاعر بالنزول عن بعض ما يريد التعبير عنه (لأنه ليس له مكان في البيت وثانيهما إلزام الشاعر بالقهر ، والإرغام أن يضيف إلى أبياته كلاما لا يريده ، ولا يعنيه ، وكل أهميته أنه يكمل الوزن . هذه سمة ، والأخرى أنه تنازل عن القافية ؛ لأن القافية على ما في تعريفها من غموض ، وإبهام قيد عن الانطلاق ، وحرية التعبير . ربما كان له معنى في زمن مضى ، ولكنه لم يعد له هذا المعنى في الزمن الحديث [١٣] . وأضاف بعض النقاد على مزايا هاتين السمتين أنهما ربما مكنتانا بعد لأي ، وطول عناء من تأليف المسرحية ، والملحمة وترجمة تراث الإنسانية الرائع بغير حدود ، ولا قيود " [١٤]

وتعليقي على هذا النص من النواحي الأتية :

الناحية الأولى :

أنا أوافق أحمد الشريف على أن مجمل المراد بالتجديد هو تطوير ، أو تحديث التراث بالإضافة عليه ، أو تعديله بما يناسب العصر مع المحافظة على جوهر هذا التراث ، وهذا هو مضمون قوله السابق :

" فأما التجديد فهو كما أفهمه لفظ يفترض التراث القديم ، والمحافظة عليه في جوهره ، كما يفترض إدخال التعديل عليه بما يجعله مناسبا للعصر "

الناحية الثانية :

أنا أوافق أحمد الشريف حينما جعل الجديد شيئا جديدا غير موجود في السابق بمعنى الابتكار لشيء لم يكن موجودا .

الناحية الثالثة:

إنني أختلف مع أحمد الشريف حينما عبر تعبيرا غير دقيق بوسمه الشعر الحر متنازلا عن الوزن في قوله :

" ولقد كانت أكبر سمات هذا الشعر الجديد أنه تنازل عن الوزن "

وسبب اختلافي معه هنا هو أن الشعر الحر قد تنازل عن الوزن عند بعض الناس فخرجوا عن مصطلح الشعر ؛ لأنهم يرويدونه فوضى موسيقية ، وكعبلات موسيقية ، ولم يتنازل الشعر الحر عن الوزن عند غير هؤلاء [١٥]، ودليلي على ذلك أن نازك الملائكة حينما وضعت عروض الشعر الحر قد اشترطت أن يكون هذا الشعر مبنيا على بحر من الأبحر الصافية في تفعيلاتها ومن الأبحر الممزوجة بحر السريع [١٦] وهي:

وأما الأبحر الصافية فهي :

١ ـ الوافر :

مفـــاعلتن مفـــاعلتن مفـــاعلتن مفـــاعلتن مفـــاعلتن مفـــاعلتن

٢ ـ الهزج :

مفـــاعيلن مفـــاعيلن مفـــاعيلن مفـــاعيلن مفـــاعيلن مفـــاعيلن

٣ ـ الكامل :

متفـــاعلن متفـــاعلن متفـــاعلن متفـــاعلن متفـــاعلن متفـــاعلن

٤ ـ الرجز :

مســـتفعلن مســـتفعلن مســـتفعلن مســـتفعلن مســـتفعلن مســـتفعلن

٥ ـ الرمل :

فـــاعلاتن فـــاعلاتن فـــاعلاتن فـــاعلاتن فـــاعلاتن فـــاعلاتن

٦ ـ المتقارب :

فعـــولن فعـــولن فعـــولن فعـــولن فعـــولن فعـــولن

٧ ـ المتدارك :

فـــاعلن فـــاعلن فـــاعلن فـــاعلن فـــاعلن فـــاعلن

وذكرت نازك بحرا من البحور الممزوجة صالحا للشعر الحر هو السريع قائلة :

" **السريع شطره** :

مستفعلن مستفعلن فاعلن " (١٧)

واشترطت نازك في الشعر الحر ألا تزيد نفعيلات السطر الواحد عن ثماني تفعيلات فقالت :

" أما البحور الصافية فأمرها يسير ؛ لأن الشعر الحر منها ينظم بتكرار التفعيلة الواحدة له بحسب ما يحتاج المعنى من مرات على ألا يتجاوز العدد الحدود المقبولة للذوق العربي في الإيقاع " (١٨)

الناحية الرابعة :

إن أحمد الشريف أورد سمات الشعر الحر من خلال اعتقاد بعض أصحاب الشعر الحر الذين يرفضون الوزن فقال :

" تنازل عن الوزن اعتقادا من أصحابه أن الوزن له ضرران : أحدهما إلزام الشاعر بالنزول عن بعض ما يريد التعبير عنه ؛ لأنه ليس له مكان في البيت "

وأنا لا أوافق معتقد بعض أصحب الشعر الحر الذين يعيبون على الشعر العمودي أنه يلزم الشاعر بالنزول عن بعض ما يريد التعبير عنه ؛ لأنه ليس له مكان في البيت ؛ والسبب في عدم موافقتي لهذا المعتقد هو أن الشاعر العمودي القوي لا يرضى أن تكون تجربته في القصيدة ناقصة ؛ بسبب ضيق البيت الشعري الواحد ؛ لأنه في إمكانه أن يعبر عما يريد التعبير عنه في بيت لاحق ، أو في مجموعة أبيات لاحقة .

الناحية الخامسة :

إن أحمد الشريف قد أورد معتقد بعض أصحاب الشعر الحر بأن الشعر العمودي يعمل على " إلزام الشاعر بالقهر ، والإرغام أن يضيف إلى أبياته كلاما لا يريده ، ولا يعنيه ، وكل أهميته أنه يكمل الوزن "

وأنا لا أوافق هؤلاء في معتقدهم هذا ؛ لأن قصائد الشعر العمودي القوية لا يوجد فيها حشو وإذا حدث شيء من الحشو فإن عمالقة النقاد العرب القدامى ، والمحدثين يعيبون عليه ويضعون له المسار الصحيح الذي ينبغي أن يكون ، ولا ضير في توجيهاتهم .

الناحية السادسة :

إن أحمد الشريف قد أورد معتقد بعض أصحاب الشعر الحر بأن القافية في الشعر العمودي " على ما في تعريفها من غموض ، وإبهام قيد عن الانطلاق ،

وحرية التعبير . ربما كان له معنى في زمن مضى ولكنه لم يعد له هذا المعنى في الزمن الحديث " .

وأنا لا أوافق معتقد هؤلاء في أن الشعر الحر قد أهمل القافية ، والسبب عندي هو أن نازك الملائكة حينما قننت عروض الشعر الحر لم تدع إلى إهمال القافية ، وإنما أباحت [١٩] عدم الالتزام بها بالنسبة للشعراء الفحول الأقوياء فإن وجدت في شعرهم فبها ونعمت ، وإن لم توجد فلا مشكلة في شعر هؤلاء الأقوياء؛ لأنهم قادرون عليها ، كما أنني لا أوافق على المعتقد الذي يعتقد أن القافية قيد يعوق الشاعر عن الانطلاق ، والسبب عندي هو أن قوة الشاعر تجعل من القافية سلاسة ، ويسرا وتمكنا ، وأما ضعف الشاعر فهو الحجة التي يتحجج بها في أن القافية قيد يعوقه عن الانطلاق ، والتعبير .

الناحية السابعة :

إن أحمد الشريف قد أورد وجهة نظر بعض النقاد بأن الشعر الحر مناخ ، ومجال لتأليف المسرحية ، والملحمة ، والترجمة .

" وأضاف بعض النقاد على مزايا هاتين السمتين أنهما ربما مكنتانا بعد لأي وطول عناء من تأليف المسرحية ، والملحمة ، وترجمة تراث الإنسانية الرائع بغير حدود ، ولا قيود "، فكأن هؤلاء النقاد يسمون ، أو يصفون الشعر العمودي بأنه ليس لديه القدرة على الصياغة في هذه الفنون الأدبية . وأنا لا أوافق هؤلاء النقاد في وصف الشعر العمودي بالعجز ؛ لأن الشاعر القوي يستطيع أن يصوغ في هذه الفنون في إطار الشعر العمودي مثل شعر فاروق جويدة ، وكامل أمين ، وغيرهم الكثير من الذين نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا ، ولافتا للنظر .

الجانب الثالث

مناقشة الشريف لأصحاب الشعر الحر الذين تخلوا عن الوزن والقافية

وأحمد الشريف نفسه قد ناقش أصحاب الشعر الحر الجديد الذي تخلوا في عن الوزن والقافية وعابوا على الشعر العمودي ، ورد عليهم في موطن غير هذا الموطن الذي علقت عليه الآنف الذكر فقال :

" الشكل وحده هو الذي تغير ، أو هو الذي تحطم تماما ، ولكن لماذا ؟!

إن كان كما يقولون ، أي لكيلا يضطر الشاعر إلى إضافة لفظ لا يريد إضافته ، أو إلى حذف لفظ يشعر بضرورة إثباته فما هذه تيسيرا للشعر ، ولكنها بديل من البراعة التي عرف بها كبار الشعراء في كل زمن ، ولا أظن مذهبا بأكمله يقوم لكي يدعو إلى إلغاء البراعة ،واستبدال العجز ، والعوز بها ، ويحطم في سبيل هذه الدعوة كل قيمة ، وكل تراث عريق . أما إن كان

المطلوب منه هو إتاحة الفرصة لكل من لا يحسن الوزن ، ولا يملك القافية ولا يتمكن من اللغة ، ولا يبرع في الأسلوب ؛ لكي يكون شاعرا يقول لنا حثالة ما يطيف بذهنه من أحلام اليقظة ، وترهات المراهقة فلا بأس بذاك ... على ألا يحسب هذا شعرا بل من قبيل تنظيف المدفأة ramonage de few على مذهب فرويد " (٢٠)

وأنا أوافق أحمد االشريف هنا في هذا النص ؛ لأن أصحاب الشعر الحر الجديد الذين تخلوا عن الوزن والقافية ، والذين سخروا من الشعر العمودي قد فتحوا الباب لأحمد الشريف ؛ كي يسخر منهم كما سخروا ، علاوة على أن كلام أحمد الشريف هنا منطقي ، ومقنع .

الجانب الرابع

موقف الشريف من الأسلوب في الشعر الحر

تكلم أحمد الشريف عن الأسلوب في الشعر الحر فقال :

" أما الأسلوب فالسائد في الشعر الحر هو الرمز الموغل في الرمزية حتى ما يكون لرموزه مفتاح ، وحتى يمكن للقارئ ــ وهو على حق ــ أن يظن القصيدة مجرد غزل في معشوقة ،أو قصيدة وطنية تهتم بالحرب ، والسلام ، ومصائر الأمم . ولقد شهدت نقاشا بين شاعر ، وناقده ، كان مداره أن الناقد في زعم الشاعر لم يفهم معنى القصيدة . فإذا صح هذا ، وأمكن تصحيح الأخطاء ؛ لأنهما في القاهرة ، ويتلاقيان فكيف بهما إذا تباعد بهما المكان ؟ ، أو ــ وهو الأنكى ــ إذا تباعد بهما الزمن ؟! ، ثم كيف برجل الشارع ؛ المعني الأول بهذا الشعر حسب زعم أصحابه إذا كان فهم الشعر يعز على الناقد المتخصص ؟ إن الرمز مذهب معترف به في الشعر ، ولكن الرمز المعترف به شيء ، والتعمية التي لا يفهمها أحد شيء آخر . حتى الفوازير لها حلها المستمد من كلماتها . أما أن لا يكون في كلمات الشاعر ما يدل على مرماه فهذا هذيان لا رمز ، وأعراض حمى لا أعراض شعر " (٢١) .

وتعليقي على هذا النص يكون من النواحي الآتية :

الناحية الأولى :

إن أحمد الشريف قد حدد المراد بالأسلوب الرمز . ولكنني أقول له إن كلمة الأسلوب متعددة الدلالة فتصلح أن يكون المراد بها الجملة فيقال مثلا الأسلوب الإنشائي ، والأسلوب الخبري أو المراد بها التركيب فيقال تركيب ركيك ، وتركيب قوي ، أو المراد بها الطريقة فيقال منهجه كلاسيكي ، أو منهجه غير كلاسيكي ، أو المراد بها المذهب فيقال مذهبه أدبي ، أو علمي ، أو علمي متأدب وغير ذلك .

الناحية الثانية :

إن أحمد الشريف قد تكلم عن مستوى من مستويات الرمز . وهو الإسقاط الذي يعني أن الشاعر يقدم أحداثا معينة بشخوصها وهو لا يقصد هذه الأحداث بشخوصها ، وإنما يقصد أحداثا مشابهة لها ، وشخوصا غيرها ؛ لأنه يخاف من التصريح بسبب خشية توقيع العقوبة عليه من ناحية الجهة الحاكمة ، أو من جهة دينية ، أو من جهة اجتماعية ، أو غيرها . وهنا أقول ليس هذا المستوى من الرمز سائدا في الشعر الحر وحده وإنما هو موجود في الشعر العمودي ، وفي المسرحية ، وفي القصة ، وفي كل الفنون الأدبية .

الناحية الثالثة :

أنا أوافق أحمد الشريف في أنه لابد للشاعر الذي يستخدم الرمز الموغل في الرمز أن يترك مفاتيح للمتلقي في النص الأدبي تساعد هذا المتلقي في التعرف على مقاصد الأديب صاحب النص . وهنا يجوز للمتلقين أن يختلفوا في فهم مقصد الأديب فيذهبوا كل مذهب في ذلك . وهنا ليس الأمر بمقصور على الشعر الحر ، وإنما ينطبق على الشعر العمودي .

الناحية الرابعة :

أنا أوافق أحمد الشريف حينما جعل بعض مستويات الرمز تناسب الصفوة من المتخصصين والنقاد مثل مستوى الإسقاط ، وبعض المستويات تناسب الناس العاديين مثل مستوى الرمز الإشاري الموجود في إيحاءات الكلمات ، وفي الرمز الاستعاري ، والكنائي ، وأمثالهما . وهنا ينطبق ذلك على الشعر العمودي أيضا ، وليس مقصورا على الشعر الحر .

الناحية الخامسة :

أنا أوافق أحمد الشريف في أن التعمية مرفوضة ، والغموض الشديد مرفوض سواء في الشعر الحر ، أو العمودي .

الجانب الخامس

موقف الشريف من لغة الشعر الجديد

تكلم أحمد الشريف عن لغة الشعر الجديد فقال :

" وأما لغة هذا الشعر الجديد فهي أي شيء إلا العربية ؛ قل هي الإنجليزية أو هي الروسية أو الفرنسية مكتوبة من اليمين إلى الشمال ، أو قل هي ترجمة حرفية سقيمة للألفاظ والتراكيب ، أو قل هي خطأ وحسب ، ولكنها ليست لغة عربية يعتريها خطأ هنا ، وخطأ هناك حتى لقد صارت العجمة في هذه اللغة مصدرا للشكوى حتى عند بعض الآخذين بهذا المذهب الحر الجديد " (٢٢)

فنجد في هذا النص أن أحمد الشريف يعيب على لغة الشعر الحر الجديد لكنني لحظت أن أحمد الشريف قد عمم الحكم على الشعر الحر الجديد كله ، ومن هنا أجدني لا أوافقه على التعميم لأنه إن انطبق كلامه على الشعر الذي يسميه أصحابه الشعر الحر الجديد الذي تخلوا فيه عن الوزن ، والقافية فجاء على هيئة كعبلات موسيقية ، وفوضى موسيقية فإنه لا ينطبق على الشعر الحر الذي وضعت عروضه نازك الملائكة الذي اشترطت فيه الوزن الموحد في التفعيلات وأن لا تزيد تفعيلات السطر الواحد عن ثماني تفعيلات [٢٣] كي لا نبتعد عن عروض الخليل بن أحمد الفرهيدي في تقنينه لعلم العروض المستنبط من الشعر العمودي وذلك ؛ لأن من تخلى عن الوزن ، والقافية لا نستغرب عليه التخلي عن اللغة العربية القوية الدقيقة التي تتناسب مع متطلبات الشعر .

الجانب السادس

موقف الشريف من مضمون الشعر الحر الجديد الذي يسميه أصحابه

تكلم أحمد الشريف عن مضمون الشعر الحر الجديد كما يسميه أصحابه فقال:

" وأما مضمون الشعر الجديد الذي قيل في تبرير كل التحطيم الذي وعظوا به إنه الهدف الأصيل ، والأخير ، وإنه ينبغي أن ينطلق في آفاق القرن العشرين قرن الطيارة ، والصاروخ وغزو الفضاء ، وأن لا يبقى على ركود حياة البادية ، وروتين وخد ــ أي سير ــ الجمال بين المخيمات . أما هذا المضمون فما يزال كما كان ، ولم يطالعنا أحد بقصيدة منطلقة إلى القمر بسرعة الصاروخ ، بل ما زالت كل قصائدنا كما كانت منذ كانت لنا قصائد في القديم لا اختلاف بينها إلا كما كان يختلف القديم ، والقديم لاختلاف الشاعرين ، والموقفين ، والكفاءتين على الإطلاق " (٢٤)

وأنا أريد أن أعلق على كلام أحمد الشريف هنا في هذا النص من النواحي الآتية :

الناحية الأولى :

أنه ذكر مصطلح المضمون في الشعر الحر الجديد كما يسميه أصحابه . والمعروف أن المضمون يعني المحتوى ، أو المعنى . ومن وجهة نظري أن الشاعر الذي يريد أن يقدم جديدا له الحق في أن يطرق المعنى ، أو المضمون الذي يريده ، ولكن ليس له الحق في أن يعيب على الأقدمين مضامينهم ، أو معانيهم التي طرقوها .

الناحية الثانية :

إن أحمد الشريف حينما اعترض على مضمون الشعر الحر كما يسميه أصحابه ترك المضمون وتكلم عن الألفاظ مثل الطائرة ، والصاروخ ، والمركبة الفضائية ، ومن المعروف أن اللفظ غير المعنى فكان ينبغي عليه أن لا يخلط في المصطلحات ، وربما كان السبب في هذا الخلط هو أصحاب الشعر الحر الجديد الذين خلطوا الكلام عن المضمون فتكلموا عن الألفاظ الحديثة وذلك لا يتصادم مع شعر الأقدمين ، ولا يقلل من شأنهم من وجهة نظري .

الناحية الثالثة :

إن أحمد الشريف حينما تكلم عن المضمون في الشعر الحر الجديد نسي ، وتكلم عن الغرض الشعري ، أو الموضوع الشعري فأخذ يتكلم عن وصف سير الإبل بين المخيمات فوقع في الخلط ، وربما كان السبب في هذا الخلط هو أصحاب الشعر الحر الجديد أنفسهم حينما اعترضوا على موضوعات شعر الأقدمين عن وصف الإبل ؛ كي يتكموا عن موضوعات جديدة مثل المركبات الفضائية ، ووصف الطيارة ، وكل ما يناسب الأغراض الجديدة ، وهذا لا يقلل من قيمة شعر الأقدمين من وجهة نظري .

ودليلي على الخلط في كلام أحمد الشريف أنه في هذا السياق قد رفض دعوى أصحاب الشعر الحر الذين تخلوا عن الوزن ، والقافية ، وعابوا على الشعر العمودي فقال :

" ثم هناك مسألة أخرى هي دعوى أن طريقة الشعر في زمن الجمل ، والحصان لابد أن تتغير في زمن الصاروخ ، والطائرة : فهل حقا أن الأزمان تحسب حسب طرائق مواصلاتها ؟ ، وهل الشعر تابع فعلا لوسائل المواصلات ؟ . نعم إن الشعر يتأثر باختلاف وسائل المواصلات ولكنه يتأثر بغيرها أيضا فإذا كان القطار ، والطيارة ، والسيارة مانعة من الشوق ، والحنين إلى الديار ، وبكاء

الأطلال فما هذا هو التأثير الوحيد على الشاعر ، بل في الحاضرة ما يمنعه من التغزل في أطراف البنان العنم بين فتيات يظهرن للعيون من مساحة أجسادهن أكثر مما يسترن وفيها ما يمنعه من ذكر مغامراته ، وبراعاته مع العواذل ، والخلان في زمن فيه اللقاء مبذول ، بل ، ومبتذل بغير رقيب عنيف ، ولا خليل لطيف . كل هذا إذا كان الشعر في الغزل وعلاقة الرجل بالمرأة . ولكن ينبغي أن لا ننسى أن الحضارة ، ومعيشتها توحي للشاعر بموضوعات للشعر قد تجعل الغزل مطلبا أقل من القليل بل إن الحضارة ، ومدنيتها ربما تطورت حتى جعلت الغزل لا معنى له ، ولا مثار له في النفوس ما بين باذل ، ومبذول " [٢٥]

يدل هذا النص على أن أحمد الشريف قد خلط في حديثه حينما تكلم عن المضمون بوصفه غرضا عنده حيث يرد هنا على أصحاب الشعر الحر الجديد الذين تخلوا عن الوزن ، والقافية وعابوا على مضمون شعر الأقدمين فنسي أحمد الشريف أنه في سياق الكلام عن المضمون فتحدث عن الجمل ، والطيارة ، والصاروخ ، والغزل ، وكل هذه أغراض للشعر ، وليست بالمعاني له ، أو ليست بمضمونه . وعلى أية حالة يعد أحمد الشريف موفقا في الرد عليهم على الرغم من تخليطه في الحديث عن المصطلحات .

وبعد أن رد عليهم دخل في عيوبهم قائلا :

" إن حركة للشعر جديدة كل الجدة مستوردة من الخارج لغرض معين ليس لها في نفس المصري جذور ، ولا في لغة العربي كيان وثيق قد جاءت تدعي أنها ستبذل الشعر حتى يكون في متناول رجل الشارع ، وعابر السبيل ، وأنها ستنقل شعرنا من المحلية إلى العالمية ، ومن عصر الجمل إلى عصر الصاروخ فاستباحت تحطيم شكل الشعر ، والقضاء على لغة الشعر ولم تجئ بأسلوب يستطيع فهمه المتخصصون بله عابري السبيل ، ولا بمضمون يرتفع عن تهاويم النائم ، وأحلام اليقظان ، وسمادير المخمور " [٢٦]

في هذا النص يعيب أحمد الشريف على الذين عابوا على الشعر العربي العمودي ، وذكر في صراحة تامة أن هؤلاء الذين يعيبون على الشعر العمودي قد وقعوا في عيوب خطيرة ؛ لأنهم إمعة للأوربيين ، وجعلوا الشعر مبتذلا ، وجاءت أعمالهم التي يحسبون أنها شعر جديد في شكل مشوه ، وفي مضمون حاو للتفاهة بلغة متهالكة ، وأسلوب ركيك .

وواضح من كلام أحمد الشريف أنه لا يمنع التجديد ، ولا يمنع التأثر بالأوربيين ، أو غيرهم بشرط الاحتفاظ بالطابع العربي ، وعدم الإساءة إلى التراث العربي الأصيل الذي خدم اللغة العربية الفصيحة البليغة فقال :

" أما الإصلاح الحق فهو الإصلاح الذي يحافظ على خصائصنا ، ومميزاتنا ويزيد فيها وينقص منها ؛ لكي تناسب أغراض العصر الذي نعيش فيه . هذا هو التجديد . ولقد مر الشعر العربي بمراحل كثيرة من التجديد لا عدد له : جدده أبو نواس ، وجيله ، والمتنبي ، والمعري واالأندلسيون ، وها نحن هؤلاء نجدده ، ولا نني نجدده بين عام ، وعام ، وبين جيل ، وجيل . جدده البعض في الشكل ، والبعض في المضمون ، والبعض في اللغة ، والبعض في الأسلوب جدده البعض بغية التيسير ، والتسهيل ، وجدده البعض قصد التشدد ، والتصعيب ، وأهدف به البعض إلى الكلام الذي يليق بالخلفاء ، والملوك ، وأراغ به البعض إلى الكلام الذي يصلح لإطلاق حماسة الجماهير ، وعمد به البعض إلى الحكمة ، والنظر العميق ، وقصد به البعض مجتمعات الرقص ، والطرب ، والسرور ، وعدله البعض ؛ ليصلح لميكروفون الإذاعة ، أو لعدسة التليفزيون ، ولا آخر لما طرأ على الشعر من تجديد " (٢٧)

وتعليقي على هذا النص من النواحي الآتية :

الناحية الأولى :

أخطأ أحمد الشريف في قوله " البعض " ؛ لأن أل التعريفية لا تدخل على بعض ؛ بسبب أن كلمة بعض موغلة في التنكير فلا تستطيع أل التعريفية أن تعرفها .

الناحية الثانية :

أنا أوافق أحمد الشريف على دعوته إلى التجديد في الشعر العربي بشروط : المحافظة على هوية الشعر العربي ، وإضافة مميزات على مميزاته .

الناحية الثالثة :

إن ما ذكره أحمد الشريف من تطور الشعر العربي قد حدث بالفعل في رحلة الشعر العربي عبر الزمن ، أو التاريخ . وهنا أجدني أريد أن أذكر أن كلمة التطور ترادف التجديد ، ولكن كلمة التطور تعني معنيين أحدهما التطور إلى القوة مثل قوة الشعر العربي على يد أمراء الشعر العربي ، وثانيهما التطور إلى الهبوط مثل استبدال أبي نواس الخمر بالبكاء على الأطلال .

الجانب السابع

إيراد الشريف نماذج تجديدية للشعر العربي

وقد نجح أحمد الشريف حينما أورد نماذج شعرية تجديدية للشعر العربي فقال :

" ولكنك مع ذلك تأخذ أبعد قصيدتين إحداهما عن الأخرى فتجد ما بينهما من جوهر متفق وإن اختلفت بعض الخصائص ، والسمات ، وما أظن في الشعر العربي كله أبعد من :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

عن :

أيها الشاكي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

وحبيب همت في غرته

وبشرب الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق إليه واتكا وسقاني أربعا في أربع

ومع هذا فالجوهر المشترك بينهما واحد على بعد ما بينهما من تجديد " (٢٨)

هذا النموذج التجديدي مقنع ، ومقبول ؛ لأن البيت الجاهلي لامرئ القيس من وزن ، أو بحر الطويل ، وبيت الموشحة الأندلسية لابن زهر الأندلسي الحفيد هنا من وزن ، أو بحر الرمل ولغتهما فصيحة ، ومعبرتان عن تجربة شعورية قوية ، وأسلوب تعبيري دقيق ، وقد تكون البيت في الموشحة من هندسة موسيقية تناسب هذا الفن الموشحي ، وهو بناء البيت على أساس مطلع له غصنان ، ثم الأسماط ، ثم القفل ، ومع ذلك جاء التجديد مقبولا على الرغم من

أن البيت عند امرئ القيس قد تكون من شطرتين الأولى هي الصدر ، والثانية هي العجز والبيت في الموشحة قد اختلف ؛ لأنه اشتمل على المطلع ذي الغصنين ، ثم الأسماط ثم القفل .

يقول ابن خلدون :

إن أهل الأندلس لما كثر الشعر في قطرهم ، وتهذبت مناحيه ، وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا ، وأغصانا أغصانا يكثرون من أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ، ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان ، وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان بحسب الأغراض ، والمذاهب ، وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد ، وتجاروا في ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناس جملة . الخاصة ، والكافة ؛ لسهولة تناوله ، وقرب طريقه ، وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر من شعراء الأمير عبدالله بن محمد المرواني ، وأخذ ذلك عنه أبوعبدالله بن عبدربه صاحب كتاب العقد ، ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان أول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية " . (٢٩)

وقد اعترض أحد العلماء على قول ابن خلدون وهو وائل حافظ خلف فقال :

" إما ن يكون مقدم بن معافر شاعر الأمير عبدالله في القرن الثالث هو الذي سمى هذا النوع بالموشح حين اخترعه ؛ فيكون قد بقي في زمن عبادة لم ينبغ فيه أحد ..... وإما أن تكون هذه التسمية قد أحدثها المتأخرون من زمن عبادة ، وزمنه أرقى عصور الشعر في الأندلس وكلاهما خطأ . وذلك مما وهم فيه ابن خلدون ؛ لأنه ذهب كعادته إلى التعليل ؛ فظن أن استحداث هذا الفن من فضل القوة ، وإتقان الصناعة وذلك لا يكون إلا على ما وصف ، ولكن الشعر لم يكن قد

بلغ في الأندلس ذلك المبلغ في القرن الثالث ، ولو كان كما زعم ابن خلدون لحفظوا اسم مقدم بن معافر ..... ومما يدل على فساد المعنى الثاني أن ابن بسام وهو أعلم من ابن خلدون ، وغيره من المتأخرين ذكر في كتابه الذخيرة أنه نشأ بين مخترع الموشح وبين عبادة بن يوسف بن هارون الرمادي وهو الشاعر الأندلسي في القرن الرابع توفي سنة ٤٠٣ هـ فلابد أن يكون عبادة أخذ عنه مثال الإتقان في هذه الصنعة ، وحينئذ يتعين أن لاختراع الموشح سببا آخر غير كثرة الشعر ، وبلوغ الغاية في تنميقه " (٣٠)

ومن وجهة نظري أنه سواء أخطأ ابن خلدون أم لم يخطئ فإنه لا يتصادم مع فكرة أن الموشح الأندلسي يعد تطويرا وتجديدا للشعر العربي . بالطريقة التي يريدها أحمد إبراهيم الشريف .

الجانب الثامن

موقف الشريف من التأثر بغير العرب في ميدان الشعر

تحدث أحمد الشريف عن موافقته التأثر بغير العرب في ميدان الشعر ؛ من أجل التجديد بشرط عدم احتقار الشعر العربي القديم فقال :

" ومنذ مطلع القرن العشرين والشعر العربي يخضع لحركات مختلفة من التجديد فهناك طريقة مطران ، وهناك منهج أبوللو ، وهناك مذهب العقاد ، وأصحاب الديوان ... ، وهناك غير هؤلاء جميعا . منهم من أخذ بالثقافة الفرنسية ، ومنهم من أخذ بالإنجليزية ، ومنهم من اتجه للشرق القريب ، أو البعيد ، وكلهم أنتجوا للشعر العربي ثروة خليقة بالخلود ، وكلهم لم يمنع الشعر السلفي القديم أن يكون له إلى جوارهم مكان فسمعنا في العصر الواحد من يقول :

بني أمنا أين الخميس المدرب وأين العوالي والحسام المذرب

ومن يقول :

كاد يمضي العام يا حلو التثني أو تولي

ما اقتربنا منك إلا بالتمني ليس إلا

واتسع الشعر لأغراضهم المختلفة الأصيلة ، والمستوردة ، وأمكن لمن شاء منهم أن يؤلف الملحمة ــ كترجمة شيطان للعقاد ــ ولمن شاء أن يؤلف المسرحية ــ كمسرحيات عزيز أباظة ــ ولمن شاء أن يقص القصص مطولة ، وغير مطولة ، ولمن شاء أن يترجم عن الغرب ما تراءى له أن يترجم " [٣١]

وتعليقي على هذا النص من النواحي الآتية :

الناحية الأولى : إن البيت الذي يقول :

بني أمنا أين الخميس المدرب

وأين العوالي والحسام المذرب

هو للشاعر محمد عبدالمطلب قد جدد فيه قول الشاعر الجاهلي الشنفرى :

أقيمـــوا بنـــي أمـــي صدور مطيكـــم

فإنـــــي إلـــــى قـــوم سواكـــــم لأميـــل

الناحية الثانية :

الشعر الذي يقول :

كاد يمضي العام يا حلو التثني أو تولي

ما اقتربنا منك إلا بالتمني ليس إلا

هو لعباس محمود العقاد

وبيت محمد عبدالمطلب من بحر الطويل وتفعيلاته هي :

فعولـــــن مفاعيلـــن فعولـــن مفاعيلن

فعولـــــن مفاعيلـــــن فعولـــن مفاعيلـــــن

وأبيات عباس محمود العقاد من بحر مجزوء الرمل وتفعيلاته :

فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

وقد كتب هذين البيتين بنظام هندسي قائم على ثلاث تفعيلات فـــي الشـــطرة الأولى ، ثم تفعيلة واحدة في الشطرة الثانية كتجديد للشكل الهندسي مثل الموشحة لكن تجوز كتابة البيتين بطريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي بالطريقة الآتية :

كاد يمضي العام يا حل

والتثني أو تولي

ما اقتربنا منك إلا

بالتمني ليس إلا

وعباس محمود العقاد لم يلتزم في هذه القصيدة بالقافيـــة علـــى ســـبيل الجواز أيضا .

الجانب التاسع

موقف الشريف من التجديد في شعره

تكلم أحمد الشريف عن التجديد في شعره فقال :

" ولقد ترجمت ــ أنا نفسي ــ من الشعر الإنجليزي إلى الشعر العربي ما شئت أن أترجم فلم أجد كلفة ، ولا صعوبة في أن أنقل إلى قارئ العربية كل ما أراد الشاعر الإنجليزي أن يجلوه على ذهن قارئه في لغته الأصلية من معنى ، وإيقاع ، وتطريب . ولقد وجدتني أريد أن أظهر للقارئ مدى الفوارق بين الترجمات المتعددة لرباعيات الخيام التي ترجمها فيتزا جيرالد مما دعاه إلى التنقيح ، وإعادة التنقيح ، وأعتقد أنني نجحت في أن أنقل للقارئ العربي ترجمة فيتزاجيرالد حتى يرى فيها ما يرى القارئ الإنجليزي . ثم في أن أنقل إليه الأبيات نفسها منقحة ؛ لكي أظهره على مدى التحسن الذي طرأ عليها في التنقيح " (٣٢)

وأستنبط من هذا النص ما يأتي :

إن أحمد الشريف شاعر تجديدي ، أو مجدد ، وأنه يجيد اللغة الإنجليزية بدليل أنه وجدت لديه القدرة على ترجمة بعض القصائد الإنجليزية إلى قصائد عربية على الرغم من صعوبة الترجمة ، وصعوبة ترجمة الشعر . زد على ذلك صعوبة ترجمة الشعر إلى شعر ، وذلك للأسباب الآتية :

١ ــ اشتراط الترجمة إجادة اللغتين التي تتم بهما الترجمة .

٢ ــ اشتراط تقمص تجربة الشاعر صاحب النص السابق .

٣ ــ اشتراط معرفة مقاصد صاحب النص السابق خاصة أن المعنى في بطن الشاعر .

٤ ــ اشتراط تحقق عناصر الشعر في النص اللاحق .

وتابع أحمد الشريف حديثه عن التجديد ، والجديد في ديوانه صور ، وعبر قائلا :

" سيرى فيه القارئ أنواعا من التجديد تابعت فيها مجددين سابقين ، وأنواعا أخرى لم أسبق إليها ، كما سيرى فيه قصائد ليس في شكلها تجديد . إلا أنه ولا شك واجد فيها جميعا ، وبلا استثناء تجديدا في المضمون فما كنت لأقول الشعر إلا صدى لما في نفسي ، ونفسي خلق جديد خلقه الله لي ، ولم أحصل عليها (مستعملة second hand) في سوق السلع المستهلكة فكل ما تحس به نفسي ويعبر عنه شعري فهو جديد وإن تصادف أن كان له في الأقدمين شبيه " (٣٣)

وتعليقي على هذا النص يكون من النواحي الآتية :

الناحية الأولى :

إن أحمد الشريف يصف بعض الأنواع من من شعره بأنه تجديدي ، لكنه تابع فيه لمجددين سابقين .

الناحية الثانية :

إنه يصف بعض الأنواع من شعره بأنه تجديدي ، وغير تابع فيه لمجدد سابق عليه .

الناحية الثالثة :

إنه يصف بعض الأنواع من شعره بأنه تقليدي .

المبحث الثاني

شعر أحمد الشريف التجديدي في ديوان (صور وعبر) من الوجهة الفنية:

النوع التجديدي الأول :

التجديد من خلال الصياغة على الموشحة :

هنا سوف أذكر موشحة لأحمد الشريف ، ثم بعد ذلك سوف أعلق عليها :

يقول بعنوان عين الخلود أو نظرة في مستقبل الإنسان :

" بينما أرتاض في أرض الهنود
أنشد الراحة للروح الكدود
إذ أراني راهب عين الخلود
أجتلي ما سوف تلقاه الوفود
علني مما أراه أستفيد

***

هي مرآة الزمان المقبل
تكشف الأستار عن مستقبل
سوف يلقاه يقينا من يلي
من بنى الناس على مر العهود

***

حسب قول الراهب المستبتل
كرة ليس لها سحر البدع
لا ولا وشي الأحاجي والبدع
ليس فيها ما يرى أو يستمع
لو رآها تحت رجليه الوليد

لم يحر يأخذها أم هل يدع
قلت للراهب ماذا في الكرة
إنها مثل الصحاري مقفرة
ليس فيها اليوم بله الباكرة
أترى نحن على حرف الوجود
***
ليس تتلونا دنا أو آخرة ؟ !
أين يا صاح السنون المقبلة ؟
أين أصحاب النفوس المثقلة ؟
أين أهل العزم أين المحفلة ؟
هذه دنيا تولت من بعيد
***
هذه رأس عليها مقصلة
هذه يا صاح سؤر لا حياة
هذه صحوة موت لا انتباه
إن يكن دهري قصارى ما أراه
فالضليل الخب من يرجو الخلود
***
عند دهر ذلكم كل مداه
أي خلد في مدى يوم وليلة
هذه آثاره تفني قبيله
إنما الخلد الذي يسحب ذيله
طيب الأصدار محمود الورود
***

لا كهذا ذاك خسران وعيله
قال مهلا سر ذي العين بسيط
لا يلقاه عجول أو قنوط
بل صبور نافذ العين محيط
مستقل ما لديه مستزيد
***
من بحار العلم طرا والشطوط
صاح فانظر بانتباه واتئاد
وأصخ سمعك أيضا والفؤاد
وانشغل عن كل أشغال العباد
تر ما ترضى وما لست تريد
***
من أعاجيب ستلقاها البلاد
واحذر السخط فكم من ساخط
إذ يرى صرف الزمان الساقط
عاجز الكف قليل الضابط ..
نعم جهل المرء في هذي القيود
***
ولبئس العلم علم القاسط
ذا نصيب الناس في دنياهم
قد أرادوه فيا شقواهم
قبلوا العقل على بلواهم...
حيث ردته سماء وبيود
***

والجبال الشم ما أقواهم
أحذر السخط ؟ ! .. وأنى لي بذاك ؟
إنني يا صاحبي لست ملاك
إنني ـــ السخاط ـــ قد أرضى الهلاك
في يدي سخطي ولا أرضى القعود
***
في حياة ليس فيها من حراك
إن يكن ذاك فهل لي أن أرى
ما أرى فيه صلاحي وكفى ؟
حسبي العلم قليلا وكفى
ضل من يرسف في قيد العبيد
***
ثم يشأى الله في حمل الدنى
قال هيهات ! .. وأنى أن يكون
أن يرى ما يشتهيه الناظرون
أغمض العينين واسبح في الظنون
أو فأبصر تبصر الدهر المديد
***
حسنه والقبح طرا والفتون
إيه يا ربي أأجلو مقلتيا
رغم ما في ذاك من ضير عليا ؟
أو ليس الغمض أجدى حالتيا
ولو اني مغمض فوق صديد ؟
***

إذ جلاء العين أقسى مطلبيا !
إنني إن أغمض العين فإني
سوف أحيا جاهلا أقضي بظني
الهوى رمحي وفي اللؤم مجني
كل ما يبدئه دهري ويعيد

***

مثل كل الناس لؤم وتجني
حرت ما بين مراد أرتجيه
فيه شر عارم لا أبتغيه
ونكوص أنا دهري متقيه
ليس عندي برشيد أو حميد

***

إيه يا ربي اهدني النهج النزيه
لم يمهلني الذي ألقى بآدم
من جنان الخلد في عصر تقادم
يوم رام العلم من عند الأراقم
فغدا أول منبوذ طريد

***

من ضحايا العلم في دار المظالم
لو تأتى للردى أن يدفعا
أو لشمس الصيف ألا تسطعا
لقضى الله بأن لا أرفعا
جفن عيني ذلك الفعل الرشيد

***

وكفيت النفس شرا مفزعا
بيد أن المرء لا يملك نفسه
حينما يعروه شيء قد أحسه
أن منع العلم عن عقل وحبسه
من هبات الله للكز البليد
***
هبة تعدل بالراحة بخسه
فرمقت الكرة العجبى مليا
فطوتني تلكم النظرة طيا
وتلاشى العالم الحالي لديا
وغدت أصداؤه حلم الهجود
***
يا لهول النظرة الطولى عليا
لو طريق واحد ما أظهرته !!
لو قبيل واحد ما قد أرته !!
أو مناط القصد كانت بينته
لاستراح القلب من جهد جهيد
***
واستقر القلب في ما علمته
كم مهاو ! كم مراق ! كم شعاب !
كم ضعيف ! كم كسول ! كم مصاب !
كم بحار ! كم قفار ! كم هضاب !
كم سهول ! وحزون ! ونجود !
***

يختفي فيها على القوم الصواب
كم قتال بين حمقى وصراع !
كم نفاق ! ورياء ! وخداع !
مات فيه البعض والبعض استطاع
أن يوالي المشي والوطء الشديد
***
فإذا الشعب الذي اختار ضياع
كم قبيل دفعوه رغم أنفه !
عن مسار الناس فانداح لخوفه
وارتضى ما عافه الناس لضعفه
فأذاه القصد والنهج السديد
***
حيث سار الغالب الباغي لحتفه
زمر تمضي على إثر زمر
أغلب الظن كما شاء القدر
فيهم الجامح والآني الحذر
وبصير للهدى يدعو العنيد
***
الذي يأبى يد الدهر النظر
غير أني لم يراودني الرثاء
فيه شيء من أضاحيك القضاء
لسوى قوم مشوا نحو الوراء
أرجل تعلوا وأمعاء تسود

ورءوس القوم تجفى وتساء
فئة عاشوا للذات الجسد
همهم شبع وري ، أو حسد
من يعش فيهم بأخلاق الأسد
فدعي أو شقي أو وحيد

***

والسوي الحق فيهم من فسد
ذك جيل قد تولته النساء
فإذا المحظوظ فيه الأدنياء
وإذا المغموط فيه الأعلياء
يرتقي من كان فيهم كالقرود

***

في التدلي والرقيق العلماء
هل لهذا الدرب يا ربي هدف
غير موت داهم في المنعطف ؟
هل حصيف القوم ساع مغترف
ما له في ذلك الورد حدود

***

أم حصيف القوم فيهم من وقف ؟ !
قلت للراهب " ما بعد الطريق " ؟
أرني الغاية يا نعم الصديق
هذه الأشتات لا تنقع ريق
نبذ تغري ولكن لا تفيد

***

مثل هذا العلم يا صاح بريق
قال مهلا بعض هاتيك الملامة
إنه العلم بريئا من ظلامة
فيه دنيا واشتهار وسلامة
ما الذي تبغي سواها من جدود ؟

***

قلت هذا الجد لا يسوى قلامة
إنني يا صاح لا أبغي اشتهارا
أو ثراء أو نفوذا واقتدارا
أنا صاد أطلب الري أوارا
أنا أبغي الحق والحق أريد

***

حائر يطلب في الحق قرارا
قال ذا شأنك إني لا أمانع
طالما أسمعت تحذيري لسامع
سوف أهديك إلى تلك المصارع
غير مسئول إذا كانت تؤود

***

فالهلاك الحتم بالرائين واقع
صاح فانظر ثم في ذاك المضيق
واستعن بالصبر والعزم الوثيق
واله عني إنما أنت صديق
بعض وقت ثم بالنفس تجود

إن رنت عيناك هيهات تفيق

***

أي حزن يسلب النفس السرورا
أي إعجاب يزيد النفس نورا
إن إعجابي وحزني لن يحورا
حينما أنظر خلا لن يعود

***

بهما كنت على الدهر جديرا
أي موت يا صديقي ؟ أي داء ؟
أخداع منك هذا أم غباء ؟
إن معنى العلم من معنى البقاء
أفئن تم لي العلم أبيد ؟
أم تمام العلم معناه الفناء ؟
أي صديقي ذاك حقا ما عناه
هل له عندك من معنى سواه ؟
من يكن يحسب فيه مشتهاه
إنني أعلمه جم القيود

***

منتهاه منتهى قيد الحياة
أي صديقي ليس يدري منتهاه
كائن غر سيفنى في مداه
فهو مقصور على علم الإله
والذي يدخل فيه لا يعود

حكمة الله فهل سوف تراه ؟!
ما من الموت على الحالين بد
أجتلي الحق جليا أو أصد
من قضى بالعلم خير وأسد
من جهول مات بالجهل الوطيد

***

سوف أقضى باحثا عما أود
وارتضت نفسي ما يرضى الشهيد
وأعدت العين للأفق البعيد
فإذا العيــن بياض كالجليد
لو رآها تحت رجليه الوليد
لم يحر يأخذها أم هل يحيد
ذاك حلمي يوم ميلادي السعيد " (٣٤)

وتعليقي على هذه الموشحة التجديدية من النواحي الآتية :

الناحية الأولى :

يعد من مظاهر التجديد في هذه الموشحة أنها مبنية على وزن واحد ، أو بحر واحد هو بحر الرمل وتفعيلاته هي :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

ونظام البيت فيها مختلف عن نظام البيت عند الخليل بن أحمد الفراهيــدي ؛ لأن البيت عند الخليل قائم على شطرتين متساويتين في عدد التفعيلات ، وأما في هذه الموشحة فمبني على هندسة موسيقية هي أن البيت يتكون من عدة أجزء :

المطلع المشتمل على أغصان ، ثم الأسماط ، ثم القفل . والمثال لذلك من هــذه الموشحة قول أحمد الشريف :

" بينما أرتاض في أرض الهنود
أنشد الراحة للروح الكدود
إذ أراني راهب عين الخلود
أجتلي ما سوف تلقاه الوفود
علنـــي ممـــا أراه أستفيـــد

***

هي مرآة الزمان المقبل
تكشف الأستار عن مستقبل
سوف يلقاه يقينا من يلي
من بنى الناس على مر العهود

***

حسب قول الراهب المستبتل
كرة ليس لها سحر البدع
لا ولا وشي الأحاجي والبدع
ليس فيها ما يرى أو يستمع
لو رآها تحت رجليه الوليد "

***

فهذا القول مشتمل على ثلاثة أبيات هي :

البيت الأول :

" بينما أرتاض في أرض الهنود

أنشد الراحة للروح الكدود

إذ أراني راهب عين الخلود

أجتلي ما سوف تلقاه الوفود

علنـــي ممـــا أراه أستفيـــــد

" ***

فقد اشتمل هذا البيت على المطلع ذي غصنين وهو :

" بينما أرتاض في غصن الخلود

أنشد الراحة للروح الكدود "

والأسماط هي :

" إذ أراني راهب عين الخلود

أجتلي ما سوف تلقاه الوفود

علني مما أراه أستفيد "

والقفل هنا هو :

"علني مما أراه أستفيد "

وقافية هذا البيت هي قافية الدال في قوله أستفيد .

وأما البيت الثاني فهو :

" هي مرآة الزمان المقبل

تكشف الأستار عن مستقبل

سوف يلقاه يقينا من يلي

من بنى الناس على مر العهود

ففي هذا البيت نجد المطلع ذي الغصنين هو :

" حسب قول الراهب المستبتل

هي مرآة الزمان المقبل

ونجد الأسماط هي :

تكشف الأستار عن مستقبل

" سوف يلقاه يقين من يلي

من بني الناس على مر العهود "

وأما البيت الثالث فهو :

" حسب قول الراهب المستبتل

كرة ليس لها سحر البدع

لا ولا وشي الأحاجي والبدع

ليس فيها ما يرى أو يستمع

لو رآها تحت رجليه الوليد

" ***

فالمطلع ذي الغصنين هو :

" حسب قول الراهب المستبتل

كرة ليس لها سحر البدع

وأما الأسماط فهي قوله :

لا ولا وشي الأحاجي والخدع

" ليس فيها ما يرى أو يستمع

لو رآها تحت رجليه الوليد "

***

الناحية الثانية :

يعد من مظاهر التجديد في هذه الموشحة توازن الكلمات ، وتوازن الجمل أفقيا ، ورأسيا بطريقة متشابهة مع الوزن الصرفي . وهـذا النظـام الموسـيقي للتجديد يضيف إيقاعا موسيقيا معضدا ، ومقويا لإيقاع الـوزن العروضـي ، أو إيقاع البحر العروضي .

والمثال لذلك من قافية أبيات هذه الموشحة حيث نجده يأتي على النحـو الرأسي بكلمات على وزن فعول أو فعيل

ففعول وزن صرفي ، وفعيل وزن صرفي المثال على وزن فعول من هذه الموشحة الكلمات الأتية :

وفود

عهود

وجود

خلود

ورود

قيود

بيود

قعود

هجود

نجود

قرود

حدود

جدود

قيود

والمثال على الوزن الصرفي فعيل الكلمات الآتية :

وليد

بعيد

عبيد

مديد

صديد

حميد

طريد

رشيد

بليد

جهيد

شديد

سديد

عنيد

وحيد

وطيد

سعيد

والمثال لتوازن الكلمات على الوزن الصرفي داخل الحشو على نظام أفقي ما يأتي :

" واستقر العقل فيما علمته

كم مهاو ! كم مراق ! كم شعاب !

كم ضعيف ! كم كسول ! كم مصاب !

كم بحار ! كم قفار كم هضاب !

كم سهول وحزون ونجود

***

يختفي فيها على القوم الصواب

كم قتال بين حمقى وصراع !

كم نفاق ورياء وخداع !

مات فيه البعض والبعض استطاع

أن يوالي المشي بالوطء الشديد "

ففي هذا النص نجد توازن الكلمات على نحو أفقي في الحشو قد قام على الوزن الصرفي فقوله (كم مهاو كم مراق كم شعاب ؟) يشتمل على كلمات على وزن صرفي هو مفاعل في كلمة مهاو وكلمة مراق ونجد في قوله :

" كم بحار كم قفار كم هضاب ؟ " كلمات على وزن فعال وهـــي بحـــار ، وقفار ، وهضاب

ونجد في قوله " كم نفاق ورياء وخداع ؟ " كلمات على وزن فعال وهـــي نفاق ، ورياء ،وخداع .

والمثال لتوازن الجمل أفقيا قوله :

" من يعش فيهم بأخلاق الأسد

فدعي أو شقي أو وحيد "

فجملة دعي مكونة من مبتدأ ، وخبر ؛ لأن المبتدأ محذوف تقديره هو أي هو دعي . ودعي على وزن فعيلن من الوجهة الصرفية ، ويوازيها جملة شقي أي هو شقي . وشقي على وزن فعيلن من الوجهة الصرفية ، ويوازيها جملة وحيد ؛ لأن التقدير هو وحيد ووحيد على وزن فعيل من الوجهة الصرفية .

ومن ذلك قوله :

" لا يلقاه عجول أو قنوط "

فقوله "عجول " نائب فاعل للفعل يلقى بتشديد القاف . وهذا القول على وزن فعول من الوجهة الصرفية ، أو على الميزان الصرفي ، ويوازي ذلك القول قوله " قنوط " . وهو على وزن فعول من الوجهة الصرفية وهو يساوي القول " عجول " من ناحية التوازي في الميزان.

والمثال لتوازن الجمل رأسيا قوله :

" أين يا صاح السنون المقبله

أين أصحاب النفوس المثقله "

ففي قوله " السنون المقبلة " على الميزان الصرفي تكون الفعول المفعله ، وتوازي هذه الجملة قوله في الجملة التي بعدها " النفوس المثقله " وهي على الميزان الصرفي الفعول المفعله فهذه الجمل تتساوى مع بعضها إيقاعيا على نحو رأسي .

ومثل ذلك قوله :

" فإذا المحظوظ فيه الأدنياء

وإذا المغموط فيه الأعلياء "

فجملة المحظوظ فيه الأدنياء تتوازى إيقاعيا مع جملة وإذا المغموط فيه الأعلياء؛ لأنهما متوازيتان من ناحية الميزان الصرفي حيث إنهما وزن المفعول فعل الأفعلاء . وهذ الوزن الصرفي يعضد الميزان العروضي ، ويتآزر معه في تحقيق الإيقاع الجميل .

الناحية الثالثة :

يعد من مظاهر التجديد في هذه الموشحة أنها مطولة شعرية ؛ لأنها تتكون من أربعين بيتا على نظام البيت في الموشح ، وليس على نظام البيت عند الخليل بن أحمد الفراهيدي ؛ لأن نظام البيت عند الخليل يتكون من شطرين لكن البيت في هذه الموشحة يتكون من مطلع ذي غصنين ، وأسماط فالبيت الواحد في الموشحة يشتمل على خمسة أشطر يتم ضربهم في أربعين يساوي مئاتين من الأشطر . وهذا الكم يحول العمل الفني الشعري هنا إلى مطولة

وقد وصفت هذه الموشحة بأنها مطولة شعرية ؛ لأن الموشحات السابقة لم تكن ــ في العادة ــ طويلة بسبب تناسبها مع المغنين في سياق الغناء ؛ لأنه اشتهر التغني بالموشحات ،والغناء مرتبط بالمستمعين ،والمستمعون يناسبهم عدم التطويل ؛ كي لا يملوا من العمل الفني ، وأيضا ؛ كي يسهل على المغني حفظ الموشح ، والقدرة على التغني به عند تنفيذ الغناء أمام جمهور المستمعين .

الناحية الرابعة :

يعد من مظاهر التجديد في هذه الموشحة أنها قريبة من قصص الخيال العلمي . وذلك أنه قد جرت العادة على أن قصص الخيال العلمي يكون في إطار فني مسرحي ، أوقصصي ، أو مقال ولا يكون في إطار موشحة . ومن هنا كانت هذه الموشحة لافتة للنظر في أحاديثها عن المستقبل بدليل أن أحمد االشريف قد ذكر لها عنوانا يتناسب مع هدفها فقال " عين الخلود أو نظرة في مستقبل الإنسان " .

ومن هنا يقول في بعض أبياتها :

" هي مرآة الزمان المقبل
تكشف الأستار عن مستقبل
سوف يلقاه يقينا من يلي
من بني الناس على مر العهود "

فهذا النص يشير إلى أنه يتكلم عن المستقبل بما يتناسب مع تخيله ، أو توقعه . وفي النص الآتي نراه يتوقع حدوث الأعاجيب في المستقبل فيقول :

" من بحار العلم طرا والشطوط
صاح فانظر بانتباه واتئاد
وأصخ سمعك أيضا والفؤاد
وانشغل عن كل أشغال العباد
تر ما ترضى وما لست تريد
من أعاجيب ستلقاها البلاد "

ففي هذا النص نجد أحمد الشريف واصفا المستقبل بأنه مشتمل على كل أنواع العلم الذي تظهر فيه الأعاجيب .

وطي الزمن عند أحمد الشريف في هذه الموشحة مظهر من مظاهر الاستباق إلى المستقبل فيقول :

" فرمقت الكرة العجبى لديا
فطوتني تلكم النظرة طيا
وتلاشى العالم الحالي لديا
وغدت أصداؤه حلم الهجود "

***

ففي هذا النص قد تكلم عن الموازنة السريعة ، أو الخاطفة بين ماضيه ، ومستقبله فصور المضي في صورة المتلاشي من خلال حلم منامي ساعده على استساغة هذا التصوير .

الناحية الخامسة :

تعدد أصوات الشخصيات في هذه الموشحة . وذلك أنه توجد في هذه الموشحة أصوات فاعلة للأحداث غير صوت الشاعر . وتعد هذه الأصوات المتعددة من خيال ، وتأليف هذا الشاعر المؤلف . وفي العادة تتعدد الأصوات حينما يكون العمل الفني قصصيا ، أو مسرحيا ،أو مقالة أو مقامة ، لكن العادة في الموشحة أنها لا تتعدد فيها الأصوات ؛ لأن الفاعلين في الأحداث قليلون لكن موشحة أحمد الشريف قد تعددت فيها الأصوات بطريقة لافتة للنظر .

وبالمثال يتضح المقال :

يقول أحمد الشريف في هذه الموشحة :

" بينما أرتاض في أرض الهنود

أنشد الراحة للروح الكدود

إذ أراني راهب عين الخلود

أجتلي ما سوف تلقاه الوفود "

ففي هذا النص نجد صوتا فاعلا للأحداث غير صوت الشاعر . وهو الراهب الذي أراه عين الخلود .

ومن ذلك قول أحمد الشريف :

" حسب قول الراهب المستبتل

كرة ليس لها سحر البدع "

ففي هذا النص نجد الشاعر مستمرا في جعل الراهب فاعلا في الأحداث .

ثم يأتي صوت الشاعر في قوله :

" قلت للراهب ماذا في الكرة "

إنها مثل الصحاري مقفرة "

ففي هذا النص نجد الحوار قد تنامى بين الراهب ، والشاعر ، وقد تدخل الشاعر بوصفه صاحب صوت في الحوار في هذه الموشحة .

ثم يخاطب الشاعر صاحبه الراهب في قوله :

" أين يا صاح السنون المقبلة

أين أصحاب النفوس المثقلة ؟ "

ثم ينتقل الشاعر إلى صوت الصاحب في قوله :

" قال مهلا سر ذي العين بسيط

لا يلقاه عجول أو قنوط "

ثم يخاطب الشاعر ربه قائلا :

" إيه يا ربي أأجلو مقلتيا

رغم ما في ذاك من ضير عليا ؟ "

ثم ينتقل إلى صوت الشعب قائلا :

" فإذا الشعب الذي اختار ضياع

كم قبيل دفعوه رغم أنفه

عن مسار الناس فانداح لخوفه

وارتضى ما عافه الناس لضعفه "

وبذلك يكون أحمد الشريف قد جنح للفن القصصي في هذه الموشحة مما جعل هذا العمل الفني يدخل تحت تداخل النواع الأدبية ، واختلاطها حيث يوجد

فيها من ملمح الشعر القصصي ، ومن ملامح الموشحة ، ومن ملامح قصص الخيال العلمي .

النوع التجديدي الثاني :

التجديد من خلال الأقصوصة [٣٥] الشعرية :

ألف أحمد الشريف قصيدة بعنوان (شيطان شعري) في إطار شكل من الأشكال القصصية . وهو شكل الأقصوصة فجاء العمل الفني هنا مشتملا على سمات من الأقصوصة ،إضافة إلى سمات الشعر فحدث في هذا العمل تداخل الأنواع الفنية وهنا سوف أذكر النص ثم أتلوه بتعليقاتي عليه :

" إذا الشعر ناداني طريحا مهوما
نفى النوم عن عيني وقال : قم ، انهض
فما زلت ألويه بما جاء طالبا
وما زال مثل الدائن المتعرض
لحوحا لجوجا حاضر الرد حالفا
بأن ليس يعفيني إذا لم يعوض
فأعصيه ما أسطيع عصيان أمره
ولكنني في آخر الأمر أرتضي
فيملي على قلبي حثالة إرثه
توافه من أنقاض صرح مقوض
بقية عهد غابر كان أهله
يباهون بالعلياء في كل معرض

يتيهـــون بـــالقول البليـــغ كأنـــه
مـــدارج مجـــد واعتـــذار مـــرحض
وللشعر من بـــين الكـــلام لـــديهم
كواســـطة العقـــد النظـــيم الممحـــض
سجل تـــراث لـــم يناقضـــه مفتـــر
وإن يك تسجيلا سوى الشـــعر يـــنقض
وديـــوان أيـــام ومعـــرض حكمـــة
ومرجع بحـــث لـــم يشـــوه ويـــدحض
حياة لهم بعد الحيـــاة ومـــن يجـــد
له عوض عن موتـــه الحـــتم يعـــتض
ولكنه يا حســـرتا كـــان وانقضـــى
ككـــل عهـــود النـــاس لابـــد تنقضـــي
وصارت شياطين القريض أجانبـــا
متى ترفع الأبصار في الناس تغضـــض
شيوخا تفانت بعد أن زال مجـــدها
وآذننـــا بـــالبين عهـــد لهـــا وضـــي
وكيـــف لـــرهط بالحيـــاة وكلمـــا
أجنت جنينـــا حامـــل منـــه تجهـــض
زوى الناس عنه أعينـــا ومســـامعا
وولوا إلى اللوح الوضـــيء المغمـــض

لمن لا يسوم الناس علما وفطنـــة

ومـــن عنـــده راء بصـــير كمغمـــض

أديل من الصـــيد الكـــرام لســـفله

طغام إذا ترفـــع لهـــا الـــرأس تخفـــض

حـــــديثهم لا يستســـــاغ وإنهـــــم

لكالضـــغث أوهـــى كاهـــل المتـــريض

متى ما يصب بالشـــعر يرتجـــل الغنـــى

يطـــل فقـــره بـــين الأنـــام ويعـــرض

فمالك يا شيطان شـــعري ملازمـــي

تؤرقني هل أنت يـــا صـــاح مبغضـــي

ومالك إن أطلب لك المـــوت أســـوة

بمن مات مـــن أبنـــاء عبقـــر تـــنغض

فوالله لو خيرت في عمـــر قشـــعم

يـــؤدي إلـــى ذل المهانـــة أرفـــض

فهيا شياطين القريض إلى الـــردى

وإن كنت ممن يحسن الـــركض فاركـــض

ولا تأخذي فعـــل اللئـــام وغـــدرهم

علينـــــا ولا تأســـــي ولا تتقـــــبض

ولا تلبثـــي فينـــا فإنـــك إن تـــري

لنـــا تبعـــا نمجـــج وننبـــذ ونعضـــض

إذا كنت في دار المجـــانين عـــاقلا

تعبـــت فـــإن تبـــغ الســـلامة فـــامرض

متى كان جل القوم سودا وجوههم

فأرواحهم من وجهه غيـــر أبـــيض"[٣٦]

وتعليقاتي سوف تكون من النواحي الآتية :

الناحية الأولى :

يعد من مظاهر التجديد في هذه القصيدة اشتمالها على أقصوصة شعرية ؛ لأن أحمد الشريف يحكي فيها موقفه مع الشعر لأنه جعل الشعر شخصا يـــتكلم ، ويتحاور ، ويرغب ، ويأمر وينهى ، وأن هذا الشعر قد جاءه آمرا له أن يقـــول شعرا من باب الإلحاح عليه ، والضغط على عاطفته على منوال ، أو منهج الفـــن للفن ، ومن الواضح أن التوقيت لهذا الأمر هو أول الليل في موعد مجيء النوم ، ولم يكن الشاعر مستعدا لتحقيق المراد من أمر الشعر فتحولت التجربة الشعورية إلى أرق ، وصراع ؛ لأن الشعر قد تحول إلى آمر ملح ، ومصر على أن يقول هذا الشاعر شعرا . وكأن هذا الشعر رجل دائن يطلب المدين ، وهو الشاعر بدفع مـــا عليه من شعر ، وأقسم الشعر على الشاعر أن يحقق له مطلبه ، وسوف لا يعفيه عن ذلك المطلب ، ولكن الشاعر يتأبى على الشعر ، ويحاول عصيانه ، ثـــم فـــي النهاية يسلم له القياد ويطيعه بعد عناد فيتلو عليه بعض الأشعار الضعيفة التي لا تقنع الشاعر ؛ لأنها تشبه بعض الأشعار الضعيفة التي قيلت عقب عصور الشعر الزاهرة ؛ لأن الشعر في العصور الزاهرة كان مصدر المباهاة للقدامى الذين كانوا يتيهون بالقول البليغ ؛ فكانوا يجعلونه واسطة العقد

ومن هنا نجد هذه القصيدة مشتملة على أقصوصة شعرية ؛ لأن التكثيف قد ظهر في هذه القصيدة من ناحية الحدث حيث إنه استغرق ليلة واحدة ، ومـــن

ناحية الشخصيات ؛ لأن الشخصيات هنا هي الشعر ، والشاعر ، ومن ناحية المكان حيث إن المكان هو مكان نوم الشاعر ، ومن ناحية الصراع حيث وجد الصراع بين الشعر ، والشاعر ، ومن ناحية إيحاءات الكلمات حيث اعتمد الشاعر فيها على الإيحاء بدقة في أغلب المفردات ، كما تحقق التسلسل في الأحداث بطريقة منطقية ، ودقيقة ، وجذابة ، ومشوقة .

وأنا قد وصفت هذه القصيدة بأنها مشتملة على أقصوصة شعرية ؛ لأنها مشتملة على عناصر الأقصوصة التي ذكرتها ، ومشتملة على عناصر الشعر ، وعناصر الشعر المتحققة في هذه القصيدة هي وجود التجربة الشعرية القوية ، ووجود الصور الشعرية الجيدة المشتملة على الخيال ؛ لأن الصورة الكلية هي تصوير الشعر داخل الشعر في قصيدة كاملة . وهذه الصورة الكلية مشتملة على صور جزئية تميل إلى الخيال ؛ لأنها شخصت الشعر ، وجسدته من خلال الاستعارات ، والكنايات ، وغيرها ، ووجود الموسيقى القوية ؛ لأنه من بحر الطويل ، وعلى قافية الضاد .

وبذلك تداخلت الأنواع الفنية ، أو اختلطت في هذه القصيدة فظهر مظهر من مظاهر التجديد هنا يعد لافتا للنظر ؛ لأنه قد جرت العادة على أن تكون الأقصوصة نثرية لكنها هنا جاءت شعرية .

الناحية الثانية :

اشتمال هذه القصيدة على فن المقال ؛ لأن الشاعر تناول بالتحليل قيمة الشعر عند العرب بطريقة فنية تفضي إلى الوصول إلى وجهة نظره في هذا الموضوع .

فهو قد ذكر قيمة الشعر من المواقف الآتية على نحو تحليلي متسلسل :

١ ــ يعد الشعر عند العرب القدامى واسطة العقد الذي يفتخرون به .

٢ ــ يعد الشعر سجلا لتراث العرب .

٣ ــ يعد الشعر ديوانا لأيام العرب ، أو حروبهم .

٤ ــ يعد الشعر معرضا لحكم العرب الشهيرة .

٥ ــ يعد الشعر مرجعا للباحثين .

٦ ــ يعد الشعر مخلدا لحياة العرب .

ثم ذكر وجهة نظره في مشكلة انحسار قيمة الشعر حينما تحولت حالة الشعر إلى التطور نحو الهبوط فيتحسر أحمد الشريف على ما آل إليه حال الشعر العربي من عدم استمرار قوته ،وقد ذكر أن السبب في هذا الهبوط هو ضعف الملكات ، والمواهب ، والعبقريات .

ومن هنا وجد من مظاهر التجديد في هذه القصيدة الاشتمال على بعض عناصر المقال الفني في طريقة التحليل ، والعرض ، ووجهة النظر .

ومن العجيب أن يكون المقال هنا شعريا ؛ لأنه قد جرت العادة على أن يكون المقال نثريا ، ومن هنا حدث الاختلاط في الأنوع الأدبية ، أو التداخل فيها من خلال المقال الشعري .

الناحية الثالثة :

يعد من مظاهر التجديد في هذه القصيدة اشتمالها على بعض النظرات النقدية في نقد الشعر بجانب حرارة التجربة ، وتوهج العاطفة فيها . وأنا قد ركزت هنا على ذكر حرارة التجربة وتوهج العاطفة ؛ لأن هذه القصيدة مشتملة على جانب وجداني يتوازى مع الجانب العقلي فلم تكن هذه القصيدة من نظم العلوم مثل ألفية ابن مالك ، وإنما هي فن شعري خالص الإبداع . ومن هنا وجدت فيها النظرات النقدية الآتية :

١ــ التعويل على معاناة الشاعر في تجربته الشعورية في قول الشعر فيقول الشريف :

إذا الشعر نـــاداني طريحـــا مهومـــا نفى النوم عن عيني وقال : قم انهض
فما زلت ألويـــه بمـــا جـــاء طالبـــا ومـــا زال مثـــل الـــدائن المتعـــرض

فهذان البيتان يدلان على أن الشعر القوي هو الذي يستند علـــى معانـــاة وجدانية تجعل من الشعر ، والشاعر فنانا ، ومبدعا .

٢ــ التعويل على استخدام الشعر العمودي القوي فيقول الشريف :

بقيـــة عهـــد غـــابر كـــان أهلـــه يباهون بالعليـــاء فـــي كـــل معـــرض

فهو في هذا البيت يخبرنا بأن العرب القـــدامى كـــانوا يبـــاهون بالشـــعر العمودي القوي ، ولا يحفلون بالشعر الضعيف ، كما أن الشريف يعترض في هذا البيت على الشعر غير العمودي علاوة على اعتراضـــه علـــى الشـــعر العمـــودي الضعيف .

٣ ــ التعويل على الموهبة الفنية ، أو الملكة الشعرية التي تساوي شياطين الشعر عند بعض الناس القدامى فيقول الشريف :

وصارت شياطين القـــريض أجانبـــا متى ترفع الأبصار في الناس تغضض
شيوخا تفانت بعـــد أن زال مجـــدها وآذننـــا بـــالبين عهـــد لهـــا وضـــي
وكيـــف لـــرهط بالحيـــاة وكلمـــا أجنت جنينـــا حامـــل منـــه تجهـــض

فهو في هذه الأبيات بصور معتقد بعض الناس بأن للشاعر شيطانا من الشـــعر يخبر الشاعر بما يقوله مثل قول الشاعر أبي النجم في خزانة الأدب جـــ١ ص ٣٧:

إنـــي وكـــل شـــاعر مـــن البشـــر شـــيطانه أنثـــى وشـــيطاني ذكـــر

لكن الشريف قد فرغ هذا المعتقد من محتواه ، وجعـــل شـــيطان الشـــعر مساويا للملكة الشعرية ، أو يعني الموهبة الفنية ، وذكـــر الشـــريف أن الملكـــة الشعرية قد ضعفت على أيدي بعض الشعراء الضعاف ، وعلى وجه التخصـــيص ضعفاء شعراء الشعر الحر .

٤ ــ الاعتراض على قضية التكسب بشعر المديح ؛ لأن الشاعر أحمد الشريف يعترض على نية الشاعر الذي يبغي من إنشاء شعره أن يكون سببا في اجتلاب الرزق من خلال المديح المزور في العاطفة ، والمزيف في الوجدان فيقول الشريف :

متى ما يصب بالشعر من يرتجي الغنى يطل فقره بين الأنام ويعرض

فاعتراض الشريف على من ينوي بشعره المدحي الحصول على المال نابع من اعتقاده بأن هذه النية النفعية تفسد رسالة الشعر ، وتجعل الشاعر فقيرا بين الأنام .

كما ألف أحمد الشريف أقصوصة شعرية ثانية بعنوان : (إيه يا إبليس) ، وسأذكر أبيات هذه القصيدة ، ثم أعلق عليها :

" لاح لي إبليس يوما في الكرى
لابسا حلة أرباب القلم
قلت في نفسي لعلي كاسب
منه علما بفعال أو كلم
وتخيلت أمير الجن في
ذروة العلم وأعماق الحكم
فلئن جئت إليه راجيا
لجدير منه أن يولي النعم
ويقول الحق فيما أبتغي
فإذا ضن فلا خسران ثم
يا أمير الجن إني حائر
في سؤال عنك ورى واكتتم

أفهـــلا توضـــح الســـر بـــه
علنـــي أطفـــي أواري المحتـــدم
أنـــت تدريـــه ولا شـــك فـــذا
ســـرك الـــداني وأنـــت اللـــذ علـــم
إننـــي جئتـــك أرجـــو خلـــة
لا تعـــدني بغصاصـــات النـــدم
قـــال قـــوم : لـــك عقـــل راجـــح
لـــيس يعيـــا بكبـــار أو لمـــم
ذاكر مـــا كـــان لا ينســـى الـــذي
مـــرت الـــدنيا بـــه منـــذ القـــدم
مـــدرك واع فـــلا يعجـــزه
علـــم أعـــراب ولا علـــم عجـــم
فـــي الصـــحاري بـــدوي آبـــد
وهـــو فـــي العـــيلم ربـــان الخضـــم
وهو فـــي الفســـق خليـــع مـــاجن
وهو فـــي التقـــوى التقـــي المحتشـــم
ثـــم قـــالو : لـــك نفـــس أفعمـــت
بالشـــرور الســـود واللـــؤم الأثـــم
لا يـــراك النـــاس إلا حاقـــدا
والغـــا فـــي الشـــر مـــدرار الـــنقم

إن تلـــح فـــيهم بوجـــه كـــالح

يبعـــــث الرهبـــــة أو إن تبتســـــم

حـــين تملـــي للفتـــى فـــي غيـــه

أو إذا تلويـــــــه ليـــــا بـــــاللجم

أنـــت فـــي هـــذا وهـــذا ســـيء

شـــائه البـــدء كريـــه المختـــتم

ســـيف شـــر إن تـــراءى سلســـلا

أو تـــراءى فـــي إهـــاب المنـــتقم

تلـــك نفـــس كلنـــا نعرفهـــا

لـــيس فيهـــا غـــامض لـــم يســـتقم

نفس خبـــث أوتيـــت عقـــلا ذكـــا

فهـــو فـــي أغراضـــها شـــر الخـــدم

كلفيـــف مـــن ذوي العلـــم علـــى

عهـــدنا هـــذا الحقيـــر المحتـــرم

وهي حـــال ســـوف تبقـــى طالمـــا

كانـــت الأنفـــس حكـــام الحلـــم

غير شـــيء واحـــد أعجزنـــي

لســـت أعيـــا فـــي ســـواه بـــالفهم

أتـــرى أنـــت مريـــد عـــالم

تفعـــل الفعـــل بـــوعي الملتـــزم ؟

إنمـــا الحـــر متـــاح عنـــده
فعلـــة الشـــر وأفعـــال الكـــرم
فهـــو يختـــار الـــذي يحلـــو لـــه
ســـنة الشـــر أو الخيـــر العمـــم
لـــم يحـــدد أي نهجيـــه لـــه
غيـــر مـــا فـــي نفســـه ممـــا اعتـــزم
وأرى أنـــك لا تقـــوى علـــى
أن تشـــاء الخيـــر يومـــا أو تلـــم
أنت في الشـــر إذن يـــا صـــاحبي
موثـــق رأســـا وقلبـــا وقـــدم
ثم قـــل لـــي : أنـــت حـــي مثلنـــا
يعتريـــك اليـــأس طـــورا والســـأم؟
ذات يـــوم فـــي شـــباب عـــارم
ثـــم لا تلبـــث يعلـــوك الهـــرم
تبتغـــي الشـــيء فـــلا تســـطيعه
مـــن عيـــاء وكـــلال وســـقم
إن تكـــن حيـــا فـــأنى يـــا تـــرى
يخلـــد الحـــي قويـــا مضـــطرم
وخلود الحي أشـــهى مـــا اشـــتهى
كـــل حـــي مـــن أنـــام وغـــنم

رغبة لـــم تســـتجب مـــذ نشـــأوا

في قـــديم العهـــد مـــن طـــين الـــرمم

إنمـــــا الســـــنة أن يحيـــــوا وأن

يتـــــواروا بعـــــدها طـــــي الـــــرجم

كيـــف يـــا صـــاح لـــديك اجتمعـــا

وهـــل الأضـــداد يومـــا تنســـجم ؟

ذاك شـــيء لـــم تســـغه فطنتـــي

هـــل ألاقـــي عنـــدك الحـــل الأمـــم ؟

لم يرعنـــي غيـــر صـــوت هائـــل

كهـــزيم الرعـــد أو ســـيل العـــرم

وكـــأن الأرض مـــادت تحتنـــا

والســـما انقضـــت وغطانـــا الحمـــم

كنت أجـــري هاربـــا منـــه ومـــن

كـــان فـــي مثـــل مقـــامي لانهـــزم

وإذا الشـــيطان يلهـــو ضـــاحكا

يـــا لـــه ضـــحكا كتفجيـــر اللغـــم

ســـاخرا منـــي أنـــي ســـاذج

هازئـــا منـــي ومـــن عقلـــي القـــزم

قـــال لـــي : أنـــت غبـــي جاهـــل

ودعـــي وغريـــر مـــا انفطـــم

أنـــت لا ريـــب ســـخيف أحمـــق

إذ ترجي النـــور مـــن روح الظلـــم

أم ترى ترجو الهدى مني أنـــا ؟ !

لـــيس عنـــدي غيـــر زلات القـــدم

إن تـــرم يومـــا ضـــلالا أو عمـــى

تلقـــــه عنـــــدي جبـــــالا وأكـــــم

أو ترم شـــر الهـــوى إنـــي هنـــا

منـــك قيـــد البـــاع موفـــور الحشـــم

لا تـــرم منـــي نـــورا أوهـــدى

ذان يـــا صـــاح عـــدوي المختصـــم

قلـــت والرعشـــة تعلـــوني : لقـــد

غرنـــــي عقلـــــي فـــــلا خـــــلاه ذم

يـــا صـــديقي لا تؤاخـــذني علـــى

حســـن ظنـــي فهـــو ظـــن مـــتهم

لا ولا تملـــــك تلابيبـــــي علـــــى

سوء ظنـــي : أنـــت يـــا صـــاح عـــدم

كلمـــة مـــا قلتهـــا حتـــى دوى

حـــول رأســـي مثـــل صـــرح ينهـــدم

ذلـــك الشـــيطان فـــي ثورتـــه

يطلـــق الصـــوت كمـــوج ملـــتطم

أطلــق الصــيحة حــولي ورمــى

حلـــة العلـــم بـــوجهي المـــنحطم

فـــاعترتني رعشـــة مـــن رهبـــة

فكـــأني غبـــت بينـــا لـــم أرم

لا تـــرى إبلـــيس عينـــي واضـــحا

هـــل تلاشـــى أم تـــوارى فانصـــدم

كـــل مـــا أحسســـته أمنيـــة

شملتني : ليـت أنـي لـم أنـم " (٣٧)

وتعليقاتي سوف تكون من النواحي الآتية :

الناحية الأولى :

يعد من مظاهر التجديد في هذا العمـل الشـعري أنـه يتسـم بسـمات الأقصوصة ، وبسمات فن الشعر ، ومن المعروف أن الأقصوصة تكون عادة فـي النثر . ومن هنا كأن مجيؤها في فن الشعر لافتا للنظر ، وخالطا للأنواع الأدبيـة مع بعضها .

وذلك أنه يوجد من سمات الأقصوصة التركيز ، أو الاقتصاد فـي زمـان الحدث ؛ لأنه استغرق ليلة واحدة ،والتركيز في مكان الحدث . وهو عقل الشاعر أو مخه ، والاقتصاد في الشخصيات ؛ لأن الأقصوصة قد اشتملت على شخصيتين هما الشاعر ، وإبليس ، والاقتصاد في الحدث ؛ لأن الحدث كان من خلال أسئلة ، وأجوبة ، واشتملت هذه الأقصوصة على التسلسل المنطقي للأحداث ، كما أنهـا اشتملت على التركيز في صياغة الجمل ، والتكثيف في تحميل الكلمات الرمـز ، والإيحاء ، واشتملت على التشويق من خلال العقدة ، والحل .

ويوجد في هذه الأقصوصة من سمات فن الشعر ما يأتي :

فقد اشتملت على التجربة الشعرية ؛ لأنها عبرت عن شعور الشاعر تجاه إبليس من بداية هذا العمل الفني إلى نهايته ، واشتملت على الصورة الكلية المستندة على الخيال ؛ لأنها صورت لنا إبليس في صورة تتناسب مع خلقته المخلوقة من نار ، ونفسيته البائسة ، وطبيعته الفاسدة .

واشتملت هذه الصورة الكلية على صور جزئية مثل الاستعارات ، والتشبيهات ، والكنايات وتوظيف فنون علم البديع ــ وفنون علم المعاني ، واشتملت هذه الأقصوصة على بحر موسيقي موحد التفعيلات هو بحر الرمل وتفعيلاته هي :

فـــاعلاتن فـــاعلاتن فـــاعلاتن

فـــاعلاتن فـــاعلاتن فـــاعلاتن

كما أنها اشتملت على قافية متكررة في أواخر كل الأبيات . وهي قافية الميم .

الناحية الثانية :

يعد من مظاهر التجديد في هذه القصيدة توظيف الحلم المنامي في بنية نسيج ، ولحمة هذه القصيدة . وذلك أنه قال في البيت الأول :

لاح لي إبليس يومـا فـي الكـرى

لابســـا حلـــة أربـــاب القلـــم

قلت فـي نفسـي لعلـي كاسـب

منـــه علمـــا بفعـــال أو كلـــم

وتخيلـــت أميـــر الجـــن فـــي

ذروة العلـــم وأعمـــاق الحكـــم

وقال في آخر القصيدة :

أطلــق الصــيحة حــولي ورمــى

حلـــة العلـــم بـــوجهي المـــنحطم

فـــاعترتني رعشـــة مـــن رهبـــة

فكـــأني غبـــت بينـــا لـــم أرم

لا تـــرى إبلـــيس عينـــي واضـــحا

هـــل تلاشـــى أم تـــوارى فانصـــدم

كـــل مـــا أحسســـته أمنيـــة

شـــملتني ليـــت أنـــي لـــم أنـــم

فالأبيات في مطلع القصيدة دالة على أن أحداث القصيدة قد حـدثت فـي الحلم المنامي ، كما أن الأبيات التي اختتمت بها هذه القصيدة تؤكد أن الحدث في هذه القصيدة قد حدث في الحلم المنامي ، وقد كانت وظيفة الحلم المنامي في هذه القصيدة هي تسويغ استخدام الخيال في تصور شخصية إبليس ؛ لأن شخصـية ، وصورة إبليس مجهولة لدينا ، علاوة على ذلك أن إبلـيس يتشـكل بتشـكيلات مختلفة تجعل النفس تذهب في تصور شكله كل مذهب ، لكن صورة إبلـيس فـي هذه القصيدة قد جاءت مرتبطة بتخيلات الشاعر أحمد الشريف فحدث اختلاط بين الخيالات والحلم المنامي .

ومن هنا جاءت أسئلة الشاعر لإبليس ، وإجاباتها معبرة عن هذه الصور المتعددة التي يمكن لإبليس أن يظهر فيها .

فيسأل الشاعر إبليس في البداية عن السر في المتناقضات التي يعيشـها إبليس في تشكيلاته وصوره ، وحياته فيقول الشريف :

" يـــا أميـــر الجـــن إنـــي حـــائر

فـــي ســـؤال عنـــك ورى واكتـــتم

أفهـــلا توضـــح الســـر بـــه

علنـــي أطفـــي أواري المحتـــدم

أنـــت تدريـــه ولا شـــك فـــذا

ســـرك الـــداني وأنـــت اللـــذ علـــم

إننـــي جئتـــك أرجـــو خلـــة

لا تعـــدني بغصاصـــات النـــدم "

وقد ذكر الشاعر بعض المتناقضات التي يعيشها إبليس في الحياة ، ويريد جوابا عنها من إبليس نفسه فيقول الشريف :

" قال قـوم : لـك عقـل راجـح

لـــيس يعيـــا بكبـــار أو لمـــم

ذاكر مـــا كـــان لا ينســـى الـــذي

مـــرت الـــدنيا بـــه منـــذ القـــدم

مـــدرك واع فـــلا يعجـــزه

علـــم أعـــراب ولا علـــم عجـــم

فـــي الصـــحاري بـــدوي آبـــد

وهـــو فـــي العـــيلم ربـــان الخضـــم

وهو فـــي الفســـق خليـــع مـــاجن

وهو في التقـــوى التقـــي المحتشـــم "

فهذه الأبيات تصور لنا بعضا من الصور المتناقضة التي يعيشها إبليس حيث إنه كان في قديم الزمان عالما ، وعابدا ، ولا يزال خبيرا بأحداث الحياة ، ويعلم علم العرب ، وغير العرب وهو في الصحراء شارد آبد ، وفي البحر ملاح ماهر ، وتارة يعيش عيشة الفاسق ، وتارة يعيش عيشة التقي العابد .

ويصور الشاعر الشريف ما ركز في ذاكرة الناس من الصورة السيئة التي يتسم بها إبليس فيقول :

" ثم قالو : لك نفس أفعمت
بالشرور السود واللؤم الأثم
لا يراك الناس إلا حاقدا
والغا في الشر مدرار النقم
إن تلح فيهم بوجه كالح
يبعث الرهبة أو إن تبتسم
حين تملي للفتى في غيه
أو إذا تلويه ليا باللجم
أنت في هذا وهذا سيء
شائه البدء كريه المختتم
سيف شر إن تراءى سلسلا
أو تراءى في إهاب المنتقم
تلك نفس كلنا نعرفها
ليس فيها غامض لم يستقم

نفس خبـــث أوتيـــت عقـــلا ذكـــا

فهـــو فـــي أغراضـــها شـــر الخـــدم "

ففي هذه الأبيات نجد الذاكرة الجمعية لدى بعض الناس تتصور ، وتتخيل الصورة البغيضة لإبليس الذي يتسم بالشر الأسود ، واللـــؤم الخبيـــث ، والحقـــد المتجذر ، والوجه الكالح سواء في تكشيره ، أو في ابتســـامه ، وهـــو محـــرض الشباب على المجون ، والفسق ، والغواية ، وهو سيف الشر في تلونه بالصورة المغرية ، أو في تلونه بالصورة القبيحة ، والنفس الخبيثة

ثم يتدرج الشاعر في أسئلته من التعميم إلى التخصيص فيقول :

" أتـــرى أنـــت مريـــد عـــالم

تفعـــل الفعـــل بـــوعي الملتـــزم ؟

إنمـــا الحـــر متـــاح عنـــده

فعلـــة الشـــر وأفعـــال الكـــرم

فهـــو يختـــار الـــذي يحلـــو لـــه

ســـنة الشـــر أو الخيـــر العمـــم

لـــم يحـــدد أي نهجيـــه لـــه

غيـــر مـــا فـــي نفســـه ممـــا اعتـــزم

وأرى أنـــك لا تقـــوى علـــى

أن تشـــاء الخيـــر يومـــا أو تلـــم

أنت في الشـــر إذن يـــا صـــاحبي

موثـــق رأســـا وقلبـــا وقـــدم "

ففي هذه الأبيات نجد سؤال الشاعر لإبليس مخصصا في : هل أفعال إبليس الخيرة تنتمي فعلا إلى الخير ؟

ويجيب الشاعر على هذا السؤال بأنها لا تنتمي إلى الخير لأن نية إبليس سيئة ، ولا تفضي إلى الخير ، كما أن إبليس قد ربط نفسه بالشر من جهة الرأس والقلب ، والقدم .

ثم ينتقل الشاعر إلى سؤال جوهري ، وفلسفي عن كيفية اتسام إبليس بالمتناقضات فيقول :

" ثم قل لي : أنت حي مثلنا

يعتريك اليأس طورا والسأم؟

ذات يوم في شباب عارم

ثم لا تلبث يعلوك الهرم

تبتغي الشيء فلا تسطيعه

من عياء وكلال وسقم

إن تكن حيا فأنى يا ترى

يخلد الحي قويا مضطرم

وخلود الحي أشهى ما اشتهى

كل حي من أنام وغنم

رغبة لم تستجب مذ نشأوا

في قديم العهد من طين الرمم

إنما السنة أن يحيوا وأن

يتواروا بعدها طي الرجم

كيــف يــا صــاح لــديك اجتمعــا

وهـــل الأضـــداد يومـــا تنســـجم ؟

ذاك شـــيء لـــم تســـغه فطنتـــي

هــل ألاقــي عنــدك الحــل الأمــم ؟ "

ففي هذه الأبيات يتعجب الشاعر من أن إبليس قد اختلف عن الإنسان في هذه الحياة الدنيا لأن الإنسان يحيا مدة من الزمن ، ثم يموت في هذه الحياة الدنيا فهو ليس بمخلد فيها ،ولكن إبليس قد طلب من الله أن يكون من المنظرين إلـــى يوم الدين . وهنا تأتي أسئلة الشاعر : هل يكبر إبليس ؟ ، أوهل يشيخ ؟ ، وهل يعتريه الهم ، أو الهرم ؟ ، أو هل يعتريه المرض ؟ ولماذا اختار إبليس أن يكون من المنظرين مع أن سنة الحياة هي الموت في الدنيا ؟ ، أو كيف جمع إبليس بين الأضداد ؟ ، وطلب الشاعر من إبليس الإجابة على كل هذه الأسئلة .

لم يرعنـــي غيـــر صـــوت هائـــل

كهـــزيم الرعـــد أو ســـيل العـــرم

وكـــأن الأرض مـــادت تحتنـــا

والســـما انقضـــت وغطانـــا الحمـــم

كنت أجــري هاربــا منــه ومــن

كـــان فـــي مثـــل مقـــامي لانهـــزم

وإذا الشـــيطان يلهـــو ضـــاحكا

يـــا لـــه ضـــحكا كتفجيـــر اللغـــم

ســـاخرا منـــي أنـــي ســـاذج

هازئـــا منـــي ومـــن عقلـــي القـــزم

قـــال لـــي : أنـــت غبـــي جاهـــل

ودعـــــي وغريـــــر مـــــا انفطـــــم

أنـــت لا ريـــب ســـخيف أحمـــق

إذ ترجـــي النـــور مـــن روح الظلـــم

أم ترى ترجو الهدى مني أنـــا ؟ !

لـــيس عنـــدي غيـــر زلات القـــدم

إن تـــرم يومـــا ضـــلالا أو عمـــى

تلقـــــه عنـــــدي جبـــــالا وأكـــــم

أو ترم شـــر الهـــوى إنـــي هنـــا

منـــك قيـــد البـــاع موفـــور الحشـــم

لا تـــرم منـــي نـــورا أوهـــدى

ذان يـــا صـــاح عـــدوي المختصـــم

ففي هذه الأبيات يسمع الشاعر صوت الشيطان المرعب ــ ويرى صورته المخيفة ، فيجيب الشيطان على أسئلة الشاعر بأن هذه الأسئلة صادرة من عقـل إنسان ساذج ، عديم الخبرة لأنه يرجو الخير من الشر ، ويرجو النور من الظلام ، ويرجو الهدى من الضلال ، فيعترف إبليس بأنه مصـدر الشـر ، والضـلال ، والفساد ، والغواية ، والعمى .

فيعتذر الشاعر لإبليس عن حسن ظنه به فيصرخ إبليس صـرخة تنهـي الحلم المنامي الذي لحق بالشاعر ؛ فيستيقظ من حلمه بعـد أن تلاشـت صـورة إبليس في الفضاء .

النوع التجديدي الثالث :

الرسالة الشعرية :

ألف أحمد الشريف رسالة شعرية ثالثة بعنوان : (طائري بين السماء وحديقة الحيوان) وسأذكر أبيات هذه الرسالة الشعرية ثم بعد ذلك أعلق عليها:

" أيها الطائر المحلق في الجو ... وتمهل أما ترد سؤالي ؟
فيم تخشى على حياتك مني ؟ ... لست يا صاح خاتلا بحبال
كل ما أبتغيه منك جواب ... نافعي في مؤملي ومآلي
ربما بعده انطلقت إلى الأفـ ... ق وإياك أو قعدت حيالي
قال لي الطائر المحلق : كلا ... لست ممن ترومه بالختال
إن لي صاحبا حبيبا لديكم ... ختلوه عن زوجة وعيال
أسكنوه وأطعموه شهيا ... وسقوه الزلال غير الحلال
تخذوه لفرجة ومتاع ... ولدرس وحكمة واختيال
دونك الصاحب الحبيس فإني ... لست أرتاب أنه من مثالي
فهو أدرى بمره وهو في القيـ ... د وأدرى بمنطقي وفعالي
خبرة الدهر قد تفوق فيها ... أين من قولة الخبير مقالي ؟ !
ثم ولى هذا المحلق عني ... مشمئزا من هيضتي وكلالي
باحثا عن طعامه النزر أو عن ... ورد خمس بين الربى والتلال
خائفا هجمة البواشق والثعـ ... بان في عشه وغول السعالي
جائعا طول يومه ليس يشكو ... مبعدا عن شرابه لا يبالي
فهو ما دام في الهواء سعيد ... رغم أخطاره وجوع الليالي

ثم يممت وجهتي حيث أوصا ... ني ذا الطائر الحريص المغالي
نحو حبس به أخوه مقيم ... لا مطير له ولا من صيال
في مروج من المزارع خضر ... جمعت كل سانحات الخيال
تلتقي بالذي تشاء لديها ... دبة القطب عند عصم القلال
ساهر الليل ذو المخالب فيها ... جار ذي الظلف من مها وغزال
ليس يخشى على الحياة ضعيف ... ليس يقوى على التعالي المعالي
كلهم ضامن طعاما وريا ... جاء وفرا أم جاءهم في اختزال
كلهم ضامن طعاما وريا ... ساء طعما أم كان طعم الزلال
كلهم ضامن طعاما وريا ... في المواقيت دون ليّ المطال
حسبما دبر الأمور مدير ... وطبيب وحارس للمجال
دوره على المساواة والعد ... ل فأهل الثرى كأهل الأعالي
كلهم ضامن طعاما وريا ... كلهم آمن شباة النبال
في أسار من الحديد عنيف ... ليس يخشاهم ضيوف الرجال
أي سلم هذا السلام وأمن ! ... جنة الخلد في حياة النضال
وتيممت شطر طائري المحـ ... ـبوس أبغي سؤله ما بدا لي
قفص محكم ولكن جميل ... آية الصنع غاية في الجمال
فيه حب وفيه ماء وأنثى ... وهواء وموئل في الظلال
فوقه النسر والصقور جميعا ... وعلى الأرض زاحفات الصلال
ليس يعدو عليه مخلب هذي ... لا ولا تلك تعتدي باحتيال
ثم ألقيت بالسلام عليه ... فزوى وجهه بغير احتفال

قلت ما هذه الكآبة والضيـ ... ق ومالي أراك كاسف بال ؟
أمريض يا صاحبي أم مهيض ... أم جديد في حوزة الاعتقال ؟
لست بالطائر الغريب فإني ... مرسل من لدن ودود موال
أبتغي حكمة وأنت حكيم ... لا تراني أراك في البخال
عطف الأخ وهو بعد حزين ... في انقباض وجفوة وملال
قال لي : ما تريد ؟ قلت : سؤال ... قال:عني؛ فما لصحبي ومالي؟!
قلت : أنت الخبير بالدهر في الحا ... لين : أسر ومسرح في الجبال
وأنا السائل الملح بسؤلي ... فأجبني وحسبنا من دلال
فإذاه وقد تبسم غيظا ... دامع العين شأن صرعى الخيال
حانقا يكظم السعير بجنبيـ ... ـه فيبدو في قوله المتتالي :
امض عني فما جوابك عندي ... امض عني فلن تفك عقالي
امض عني فقد أهجت شجوني ... امض عني لصاحبي في القلال
امض عني فإن عيشي رتيب ... وجواب السؤال بعض الضلال
لست في السجن كي أقول بلفظي ... أنا في السجن كي أقول بحالي"[٣٨]

وتعليقاتي على هذه الرسالة الشعرية من النواحي الآتية :

الناحية الأولى :

توجد عناصر الرسالة الشعرية في هذه القصيدة على الرغم من أنه قد جرت العادة على أن تكون الرسالة نثرا فعمل الشريف على تجديد شعره بإدماج الرسالة الفنية في هذه القصيدة وذلك أنه يعد من عناصر الرسالة الفنية أن تكون مبنية على مقدمة ، وموضوع ، وخاتمة ومن عناصرها أن تكون مشتملة على مرسل ، ومرسل إليه ، ووسيط ، ومن عناصرها التمهيد للموضوع في المقدمة ، ثم توضيح الموضوع ، ثم الإشعار بالانتهاء من الرسالة . وقد اشتملت هذه

القصيدة على كل هذه العناصر ؛ لأن المرسل هنا هو الطائر الطليق في القــلال ، والجبال .

الناحية الثانية :

تشتمل هذه الرسالة الشعرية على رؤية فكرية للطائر الطليــق والطــائر المحبوس وهذه الرؤية الفكرية هي أن الحرية أفضل من الحبس داخــل القيــود وقس على ذلك تشابه رؤية الشاعر الفكرية مع الطائر الطليق والمحبوس لأنه هو المقصود الأول من هذه الرسالة الشعرية وكل ذلك مرتبط بالحالة النفسية التــي يعيشها الشاعر بدليل أنه وجد بعض الشعراء الذين كانت لهم رؤية فكرية مضادة لهذه الرؤية أو مختلفة معها بسبب الظروف النفسية المختلفة عن ظروف أحمــد الشريف ومن هؤلاء الشعراء حسن كامل الصيرفي في قصيدته التي بعنوان حكمة عصفور حيث وضح الظروف النفسية التي جعلته يتبنى رؤية فكرية مختلفة عــن رؤية الشريف فقال الصيرفي :

" عاش هذا العصفور عندي في قفصه أربع سنوات ثم انطلق ينشد الحرية وعاد بعد عشرة أيام يحوم حول قفصه حتى إذا أدخل فيه أسلم نفسه الأخير بعــد دقيقتين وكأنه يلقننا هذه الحكمة . وكان الشاعر قد وضع تحت الرقابة فترة مــن الزمن في عهد مراكز لقوى ففكر في الهجرة عن مصر لولا حالة هذا العصفور إذ رده عن فكرته " (٣٩)

وبعد توضيح الصيرفي ظروفه النفسية قال قصيدته التي بعنون (حكمــة عصفور) بالآتي :

" قد عاد إلى القفص المهجور
واشتاق لآسره المأسور
الحكمة من هذا العصفور
سمى من فهم البشرية

قد عاد لينفض أحلامه
في قفص عاصر آلامه
كم ردد فيه أنغامه
وتناسى تلك الأغنية
الحرية .. الحرية .. الحرية!
إن فر أبي من وطنه
هل فر شجي من شجنه
أو أطلق حر من زمنه
القيد شقيق الأبدية
في الفكرة قيد للفكرة
في القوة قيد للقدرة
في الثورة قيد للثورة
والحر أسير الحرية
ميلادي قيد لمماتي
نومي تقييد لحياتي
لغتي تتمالك كلماتي
والوهم الوهم الحرية
وطن الإنسان
رغم القضبان
في كل لسان
أحلى من لفظة حرية " (٤٠)

فالرؤية الفكرية عند حسن كامل الصيرفي هي أن موت الإنسان في وطنه مسجونا أفضل من موته خارج الوطن طليقا بدليل الرسالة الضمنية التي تركهـا

العصفور حينما فضل أن يموت داخل القفص ولم يشأ أن يموت طليقا وهذه الرؤية الفكرية على عكس رؤية أحمد الشريف في رسالته الشعرية لأن أحمد الشريف اختار أن تكون الحرية أفضل من السجن داخل القيود.

وقد كان الدافع في رؤية الصيرفي الفكرية هو مروره بظروف نفسية مؤلمة وهي وقوعه في الإقامة الجبرية لأسباب سياسية . ومن هنا يستساغ تشابه حالته مع حالة العصفور الذي آثر أن يموت في قفصه .

ومن هنا عول النقاد على الحالة النفسية للشاعر والطائر ومدى االتشبه بينهما فيقول الدكتور / طلعت أبو العزم :

" ويتراءى غناء العصفور للشاعر في صور مختلفة فهو تعبير عن الفرحة بلقاء الصباح أو نفسة لآلام الشاعر من جراحه أو أنين من آلام الغربة أو حنين إلى حبيب مرتحل بل إنه ترتيل خااشعة كالصلاة وفي مثل هذه االقصائد نجد الشاعر يقارن حالته بحالة االعصفور المغرد فقد يجده بعيدا مثله عن داره وقد يتشوق مثله للعودة إلى وطنه " (٤١)

ويقول الدكتور / طلعت في سياق ثان :

" إن الشاعر حينما ينصت إلى صوت الطائر تتجاوب حالته النفسية مع الشدو ، ويردد الشدو في حنايا نفسه ؛ فيندفع إلى البكاء متأثرا بشدو الطائر ، وتهيج أحزانه في صصدره ، وتتوارد هواجسه ، وتتوالى شجونه من أعماق مشاعره ، وقد تستولي الدهشة على الشاعر وهو ينصت لغناء الطير فيتساءل في مناجاته عن حقيقة صوت الطائر أهو حنين ، وتعبير عن الفرحة ، والسعادة أم هو بكاء وأنين ؟ ويوحي شدو الطئر للشاعر بمعان عديدة " (٤٢)

وأستنبط من هاتين الاقتباستين اللتين وردتهما للدكتور / طلعت الحالة النفسية للشاعر هي التي تحدد مقصده من رؤيته الفكرية المتشابهة مع حالة الطائر.

النوع التجديدي الرابع :

التجديد من خلال الاشتراك مع شاعر غيره في بناء قصيدة :

من المعروف أن الشاعر يحب أن ينفرد بصياغة عمله الشعري ، ويحب أن ينسب إليه وحده لكن الشاعر أحمد الشريف قد أحدث تجديدا في هذه الرغبة ؛ لأنه ارتضى أن يكون شريكا في عمل فني شعري على غرار ما يصنعه مؤلفو البحوث العلمية الأكاديمية حينما يشتركون في التأليف العلمي مثلما صنع أصحاب كتاب الديوان في الأدب ، والنقد من تأليف كل من العقاد والمازني ، وشكري .

وهنا سوف أذكر قصيدة شعرية اشترك فيها أحمد الشريف مع عباس محمود العقاد ، وقد جعل أحمد الشريف عنوانها (قصيدة تكتمل) فيقول أحمد الشريف : " قال العقاد في مطلع شبابه :

(ستغرب شمس هذا العمر يوما

ويطفئ ناظري ليل الحمام

فهل يسري إلى قبري خيال

من الدنيا بأتباء الأنام ؟)

وكأنما حقق الدهر له هذه الأمنية وأصبح يرسل إليه طيفا ينبئه بأنباء الأنام فلم يحمده ، وتمنى لو لم يكن تمنى هذه الأمنية فأملى على قلبي تكملة قصيدته ، المعنى منه ، والصياغة وحدها مني :

أمان كنت في جهلي أراها

كأجمل ما يروم أخو مرام

فها أنا ذا أراها بعد موتي

أشد علي من وقع الحسام

فيـــا طيـــف الخيـــال إليـــك عنـــي

فمـــا أنـــا والطغـــام بنـــي الطغـــام

ألـــم أعـــرفهم فـــي الأرض طـــرا

فلـــم أســـعد بمعرفـــة اللئـــام ؟ !

ومـــاذا فـــي مجـــاهرة الأعـــادي

لـــــذكري بالمذمـــــة والخصـــــام

وماذا فـــي تلاقـــي النـــاس يومـــا

علـــى الضـــغن الـــدفين والانتقـــام

وماذا مـــن ريـــاء الضـــعف كنـــا

علـــى جهـــل بـــه قبـــل الختـــام

وماذا في اصـــطناع الـــود ممـــن

يرائـــــي بالكياســـــة والتســـــامي

ألـــيس مـــلاذ منخـــوب الطوايـــا

عنايتـــــه بإظهـــــار الوســـــام

فـــلا يحزنـــك تفريـــق التلاحـــي

ولا يفرحـــــك تقريـــــب الوئـــــام

غرور فـــوق جهـــل فـــوق لـــؤم

تحـــــيط بهـــــن دارات الظـــــلام

ســـجايا لـــيس فيهـــا مـــن جديـــد

سوى غصص الفجيعـــة فـــي الكـــرام

ألا يـــا ليـــت نفـــس مـــا تمنـــت

لقـــاء النـــاس مـــن تحـــتِ الرجـــام

إذن لقد اســـتراحت بالتلاشـــي

وطابـــت حيـــث قـــرت بالســـلام " (٤٣)

فالتجديد المقصود في هذه القصيدة هو عملية اشتراك مؤلفين في إنجـــاز قصيدة شعرية واحدة فالمؤلف الأول هو عباس محمود العقاد حينما قال :

(ستغرب شمس هذا العمر يومـــا

ويطفـــئ نـــاظري ليـــل الحمـــام

فهل يسري إلى قبـــري خيـــال

مـــن الـــدنيا بأنبـــاء الأنـــام ؟)

والمؤلف الثاني هو أحمد إبراهيم الشريف حينما قال بقية أبيات القصـــيدة بعد وفاة شريكه وصديقه عباس محمود العقاد .

وقد جاء هذا الاشتراك مستساغا هنا ؛ لأن أحمد الشريف كـــان صـــديقا للعقاد . ومن المعروف أن الصديق عادة يبوح لصديقه بأسراره ، وبما يدور في خلده ،وبما يجيش في مشاعره ، وبما يضطرم في نفسه فيتشرب الصديق أفكـــار صديقه ، ويندمج معه وجدانيا حتى أنه يفرح لفرحه ، ويحزن لحزنه ، ويعتنـــق معتقده الفلسفي ، والفكري .

كما أنه كان من مظاهر استساغة الاشتراك في هذه القصيدة هو استخدام الخيال الذي أتاح للعقاد أن يتخيل حاله في القبر ، وأتـــاح لأحمـــد الشـــريف أن يتقمص خيال صديقه العقاد فاستطاع أن يكمل القصيدة بالسمة التي اتســـم بهـــا العقاد ، واشتهر بها ، وهذه السمة هي سمة الميل إلى الجانب الفكري في شعره

الذي جعل الفكر يطغى على الوجدان على الرغم من وجود العاطفة المـوارة ، والمشاعر الفياضة عند كل من العقاد ، والِشريف ، وقد كان ميـل العقـاد إلـى الجانب الفكري ؛ سببا من أسباب حرمانه من إمارة الشعر التي حصل عليها أمير الشعراء أحمد شوقي .

ومن هنا نجد العقاد ، والشريف قد وظفا الخيال ، وطيـف الخيـال فـي عملية التواصل الروحي بين الأحياء ، والأموات حيث إن طيف الخيال قـد كـان وسيلة الشريف في إخبار العقاد في قبره بأن أمنية العقاد قد تحققت فـي تعرفـه على أحوال الأحياء ، لكن هذا التعرف قد ساءه ، وأحزنه بسبب تلون الأحيـاء ، وبسبب أن بعض الناس الذين اختلف معهم العقاد في حياته قد ذموه وجعلوا منه خصما حتى بعد مماته ، وتسير الحياة في اشتمالها على الحاقـدين ، والمـرائين والمتصنعين بالشمائل الحسنة على الرغم من نيتهم السيئة ، وطويتهم الغادرة ؛ مما جعل الشاعر الشريف يندم على الأماني الماضية ، وتحققها ، لكـن بصـورة مفجعة ، وبطريقة غير متوقعة .

النوع التجديدي الخامس :

ترجمة بعض القصائد الأجنبية شعرا :

تعد من أصعب الأعمال الفنية ترجمة الشعر ؛ لأن الشعر مرتبط بمقصـد الشاعر ، ومراده ، ومن المعروف أن المتلقين يختلفون في فهم هذا المقصد ، أو هذا المراد ، زد على ذلك أن طبيعة الشعر تختلف في اللغـات فطبيعـة الشـعر الإنجليزي تختلف عن طبيعة الشعر العربي فتزداد الترجمة صعوبة ، لكنها تفضي إلى فن تجديدي في فن الشعر المترجم إليه

ومن هنا كانت ترجمة أحمد الشريف لقصيدة أنشودة إلـى بلبـل لجـون كيتس من الفن الشعري التجديدي في ميدان الترجمة للفنون .

وهنا سوف أذكر نص أحمد الشريف بما يأتي :

" إن في قلبي وخزا والتراخي لف حسي

وي كأني من شراب فيه سم قد شربت

أو نقيع خامل الأفيون من مترع كأس

منذ لحظات وفي نهر التناسي قد رسبت

ليس ذا ضغنا على حظ يواتيك بهيج

بل لفرط السعد عندي أن حواك اليوم سعد

فغدوت اليوم يا إلف الغصون الناضرة

في مكان ذي غناء وهزيج

ذي غصون نضرات وظلال لا تعد

هاتفا للصيف تلقاه بملء الحنجرة

آه يا من لي ببنت الكرم كانوا خبثوها

في مغارات رطاب طول عهد ليس يحدس

ذوقها ذوق (فلورا) [٤٤] أو مروج هيثوها [٤٥]

أو مراح الدفء والرقص وأنغام (بروفنس) [٤٦]

آه يا من لي بكأس أترعوها في الجنوب

أترعوها ماء (هيبوكرين) [٤٧] لون الأرجوان

حبب يغمز في الكأس كدر في نظام

وفم بالأحمر القاني خضيب

علني أنهل منها ثم أمضي لا تراني

هذه الدنيا وإياك إلى غاب القتام

ثم أمضي مبعدا شوطي لأنحل وأنسي
كل ما لم تدره أنت على أوراق غصن
تعب الإعياء والحمى وتنغيصا وبؤسي
ها هنا حيث استقر الناس في زفر وأنّ
حيث هز الشلل الشعر الكثيب المستشيطا
حيث غض العمر يصفر ليضوي ويموتا
حيث محض الفكر معناه اصطلاء النكد
وامتلاء العين يأسا وقنوطا
حيث لم يقدر جمال أن يفي العين الخفوتا
لا ولا عشق تمناها لأقصى من غد
انطلق في الأفق حلق فسآتيك أطير
ليس يحدو مركبي باخوس [٤٨] أو بعض نموره
بل على أجنحة الشعر الأبيات الظهور
رغم تعويق النهى الخابي وتحبير أموره
فإذا ما صرت في جنبك فالليل لطيف
وعسى أن يصعد البدر إلى عرش المساء
حوله من جانبيه كل أملاك الدراري
بيد أن ليس هنا نور يطيف
غير ما تمضي به النسمة من عند السماء
عبر مخضر الكآبات وأعشاب البراري

لا أرى أي الأزاهير ترامت تحت وطئي
لا ولا أي عبير ناعم بالغصن عالق
بل أرى بالظن في عطر ظلامي كل شيء
عبق حلو الشذا قد صبه الشهر الموافق
في المروج والجميلات وأشجار الثمار
وذوات الشوك والعليق في مرعى الفيافي
وسريع الموت في أوراقه ذاك البنفسج
وابن مايو البكر في نصف المسار
وجديد المسك مخضلا بأنداء السلاف
وذباب الأيك في ليلات صيف بات يهزج

ثم في الظلماء أصغى كم مرارا شد جيدي
في شبيه بغرام الحب للموت الحنون
ولكم سميته أحلى الأسامي في قصيدي
داعيا إياه أن يذهب في الجو أنيني
إن هذا الوقت يبدو خير وقت للفناء
لانتهاء العيش في الليل وفي غير ألم
بينما تفتأ تلقى روحك العذب هناكا
في ملذات حبور وانتشاء
ثم لا تنفك تشدو وأنا مثل الأصم
أذني قد أصبحت طيفا لعلوي غناكا

أنت يا بن الأبد الخالد لم تولد لتقضي
لا ولم يحطمك جيل جائع في العيش محرج
فالصدى العابر بي في ليلتي قد كان يفضي
منذ أجيال إلى أذن مليك .. ومهرج
بل لعل النغم الحلو الذي يوما تسرب
بين أضلاع حزينات لراعوث [٤٩] المشوقة
حين قامت في حقول نائيات وهي تدمع
هز أيضا نفس ما أشجى وأطرب
بضع طاق السحر في مزبد أمواج سحيقة
في بحار الهلك والأطياف في تيهاء بلقع

بلقع ويلمها من كلمة مثل اليراع
تقرع الروح لترتد إلى ذاتي منـــك
فوداعا إن هذا الوهم لم يحسن خداعي
مثلما قد قيل عنه أيها الطيف وعنكا
فوداعا ووداعا شدوك المشجي سيخبو
عبر هذا المرج أو في جدول للماء راكد
أو سيرقى التل إلا أنه طي الرغام
عند واد بعد هذا فيه شعب
أترى كانت عيانا أم رؤى يقظان هامد ؟
تاهت النغمة هل صاح أنا أم في منام ؟ " [٥٠]

وقبل أن أعلق على هذا العمل لأحمد الشريف ينبغي أن أذكر النص الإنجليزي أنشودة إلى بلبل لجون كيتس الذي مصدره هو : الشبكة العنكبوتية جوجل مكتبة دار النور ترجمات سبتمبر ٢٠١٤م

"My heart aches, and a drowsy numbness pains
My sense, as though of hemlock I had drunk,
Or emptied some dull opiate to the drains
One minute past, and Lethe-wards had sunk:
'Tis not through envy of thy happy lot,
But being too happy in thine happiness,—
That thou, light-winged Dryad of the trees
In some melodious plot
Of beechen green, and shadows numberless,
Singest of summer in full-throated ease.

O, for a draught of vintage! that hath been
Cool'd a long age in the deep-delved earth,
Tasting of Flora and the country green,
Dance, and Provençal song, and sunburnt mirth!
O for a beaker full of the warm South,
Full of the true, the blushful Hippocrene,
With beaded bubbles winking at the brim,
And purple-stained mouth;
That I might drink, and leave the world unseen,
And with thee fade away into the forest dim:

Fade far away, dissolve, and quite forget
What thou among the leaves hast never known,
The weariness, the fever, and the fret
Here, where men sit and hear each other groan;
Where palsy shakes a few, sad, last gray hairs,
Where youth grows pale, and spectre-thin, and dies;

Where but to think is to be full of sorrow
And leaden-eyed despairs,
Where Beauty cannot keep her lustrous eyes,
Or new Love pine at them beyond to-morrow.

Away! away! for I will fly to thee,
Not charioted by Bacchus and his pards,
But on the viewless wings of Poesy,
Though the dull brain perplexes and retards:
Already with thee! tender is the night,
And haply the Queen-Moon is on her throne,
Cluster'd around by all her starry Fays;
But here there is no light,
Save what from heaven is with the breezes blown
Through verdurous glooms and winding mossy ways.

I cannot see what flowers are at my feet,
Nor what soft incense hangs upon the boughs,
But, in embalmed darkness, guess each sweet
Wherewith the seasonable month endows
The grass, the thicket, and the fruit-tree wild;
White hawthorn, and the pastoral eglantine;
Fast fading violets cover'd up in leaves;
And mid-May's eldest child,
The coming musk-rose, full of dewy wine,
The murmurous haunt of flies on summer eves.

Darkling I listen; and, for many a time
I have been half in love with easeful Death,
Call'd him soft names in many a mused rhyme,
To take into the air my quiet breath;
Now more than ever seems it rich to die,
To cease upon the midnight with no pain,
While thou art pouring forth thy soul abroad

In such an ecstasy!
Still wouldst thou sing, and I have ears in vain—
To thy high requiem become a sod.

Thou wast not born for death, immortal Bird!
No hungry generations tread thee down;
The voice I hear this passing night was heard
In ancient days by emperor and clown:
Perhaps the self-same song that found a path
Through the sad heart of Ruth, when, sick for home,
She stood in tears amid the alien corn;
The same that oft-times hath
Charm'd magic casements, opening on the foam
Of perilous seas, in faery lands forlorn.

Forlorn! the very word is like a bell
To toll me back from thee to my sole self!
Adieu! the fancy cannot cheat so well
As she is fam'd to do, deceiving elf.
Adieu! adieu! thy plaintive anthem fades
Past the near meadows, over the still stream,
Up the hill-side; and now 'tis buried deep
In the next valley-glades:
Was it a vision, or a waking dream?
Fled is that music:—Do I wake or sleep?"

وقد ترجم هذا النص الإنجليزي محمد يوسف علـــى الشـــبكة العنكبوتيـــة جوجل مكتبة دار النور ترجمات بما يأتي :

" ألم يعصر قلبي ، واسترخاء يملك إحساسي
لكأني أتجرع ذوب نبات سام
أو في جوفي أفرغ – عن آخرها- كأس مخدر
حتى أهوي في لجة نهر النسيان
لا حسدا مني لسعودك
بل فرحا بسعادتك
وأنت تغرد للصيف بكل شعورك
يا سلطان الشجر الطائر
في المرج المخضل ، وفي ممتد الظل
من لي بسلاف باردة
عاشت زمنا في جوف الأرض
جمعت نكهتها من ريف أخضر وربيع طلق
من رقصات وأغان وهناء مشمس
من لي بالكأس امتلأت من خمر جنوب دافئ
بالحق وبالحكمة حف بها الحببُ
والياقوت القاني يصبغ مرشفها
أحسو ، أغمض عن كل العالم عيني
وأهيم بصحبتك إلى أعماق دامسة في الغاب
وبعيدا أتخفى أتلاشى ما بين الأغصان
أنسى ما لم تعرف أنت
من السأم ، الحمى ، القلق ، هنا حيث الناس

جلوسا يصغي البعض لآلام البعض
ويهز الوهن ببطء الأحزان شعيرات في الرأس رمادية
صار ربيع العمر هزيلا يذوي ويموت
وما في البال سوى الأشجان
رب جمال لا يقدر إبقاء العينين منورتين
ولا الحب الآتي أن يذوي تحناني لهما خلف الغد
هناك بعيدا بعيدا إليك أطير
على متن أجنحة الشعر
أفضل من عربات لباخوس ، ذات الفهود
وإن كان عقلي ثقيلا يعوق انطلاقي
وهأنذا معك الآن ، ما أروع الليل
والقمر المترفع إذ يستوي فوق عرشه
محاطا بحاشية من نجوم وضياء
ولكن هنا . لا ضياء
سوى ما أتى من علٍ فوق متن النسيم
خلال الغياهب تزهو اخضرارا
وعبر الطحالب فوق السبل
لا أستجلي أزهارا تمسس قدمي
أو عبقا هفهافا بين الأفنان
لكني في الظلمة أستكنه كل عبير يتضوع هذا الشهر
الأعشاب الأجمات وأشجار الفاكهة البرية
الزعرور الأبيض والنسرين البائس
وبنفسجة ما أسرع أن تذبل تستخفي في الأوراق

والبنت البكر لمايو إذ ينتصفُ
وأزهار المسك المترعة خمورا وندى
ثم طنين الحشرات بليلات الصيف
وأرهف سمعي بقلب الظلام ، وكم مرة
صبوتُ إلى الموت يطرق بابي
وأختار أحلى النداءات حين أناديه ، ثم بشعري
أناجي ليحمل في الجو أنفاسي الوادعة.
فما أجمل الموت في التو ، بل هو أثمن من أي وقت سواه
فحين أموت بمنتصف الليل دون المعاناة
لحظة تسكب روحك في نشوة وانبهار
أيا أيها البلبل المنتشي
تظل تردد لحنك ، تنثرهُ
فوق ما يتبقى من الأذنين المبعثرتين بجسمي التراب!
يا هذا الطير الخالد إنك لم تولد للموت
لم تطأ الأجيالُ الساغبة غناءك بالأقدام
تلك النغمة أسمعها منك الليلة
سمعتها الأمراء كثيرا والغوغاء
يا- من يدري- هي ذات النغمة
راعت راعوث المضناة ، وكانت
تذرف أدمعها في أعواد القمح بغربتها
من يدري إن كانت ذات النغمات
تفتن- ما أدراك- شبابيكا ساحرة
تنفتح على زبد البحر الهادر في تلك الأصقاع المهجورة

تسكنها الجنيات
المهجورة!! يا للكلمة تشبه ناقوسا
يفصلني عنك ويدفعني للعزلة
فوداعا ، إن غناءك ينساب
فوق مراع مصغية ، وجداول ساكنة ، وعلى التل
ثم اندفن عميقا بين شجيرات الوادي هذا
هل كانت رؤيا؟ أم حلما من أحلام اليقظة؟
والموسيقى . أين الموسيقى؟! هل أنا صاح أم نائم"

وتعليق على هذا العمل الفني التجديدي لأحمد الشريف من النواحي الآتية :

الناحية التجديدية الأولى :

جدد أحمد الشريف في عمله الفني هنا بإضافة تفعيلة في بعض أشطر هذا العمل الفني لأن هذا العمل الفني من بحر الرمل وتفعيلات هذا البحر عند الخليل ابن أحمد الفراهيدي هي :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وهذا النظام الموسيقي يعني أنه في كل شطرة ثلاث تفعيلات لتفعيلة فاعلاتن .

ومن هنا جدد أحمد إبراهيم الشريف على نظام الخليل بن أحمد الفراهيدي حيث إن أحمد الشريف قد أضاف تفعيلة رابعة على الشطرة فأصبحت بالشكل الآتي :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

ونظام أحمد الشريف غير موجود في الدائرة عند الخليل بن أحمد الفراهيدي كما أنه غير موجود في الشعر العربي السابق على الخليل بن أحمد الفراهيدي ومن هنا كان تجديديا

على الرغم من وجود بعض الشطرات على وزن :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

في شعر أحمد الشريف مثل الشطرات الآتية :

(في مكان ذي غناء وهزيج)

(وفم بالأحمر القاني خضيب)

(وامتلاء العين يأسا وقنوطا)

(بيد أن ليس هنا نور يطيف)

(وابن مايو البكر في نصف المسار)

(في ملذات حبور وانتشاء)

(هز أيضا نفس ما أشجى وأطرب)

(عند واد بعد هذا فيه شعب)

هذه هي الشطرات التي أتت على طريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي وما عداها جاء تجديديا على طريقة الخليل

الناحية التجديدية الثانية :

أن أحمد الشريف لم يلتزم بقافية واحدة من بداية العمل إلى آخره ، أو لم يلتزم بروي متكرر في أواخر كل شطرتين ؛ لأنه التزم بنظام موسيقي مرتبط بنظام الدفقات الشعورية ، ومرتبط بشكل الموشح فالدفقة الشعورية الأولى هي قوله :

" إن في قلبي وخزا والتراخي لف حسي

وي كأني من شراب فيه سم قد شربت

أو نقيع خامل الأفيون من مترع كأس

منذ لحظات وفي نهر التناسي قد رسبت

ليس ذا ضغنا على حظ يواتيك بهيج

بل لفرط السعد عندي أن حواك اليوم سعد

فغدوت اليوم يا إلف الغصون الناضرة

في مكان ذي غناء وهزيج

ذي غصون نضرات وظلال لا تعد

هاتفا للصيف تلقاه بملء الحنجرة "

ففي هذه الدفقة الشعورية نجد نظام البيت في الموشح مبنيا على اشتراك بعض الأشطر في صوت موحد حيث نجد صوت السين في قوله (حسي) مشتركا مع صوت السين في قوله (كأس) على أساس رأسي .

ونجد صوت التاء في قوله (شربت) مشتركا مع صوت التاء في قوله (رسبت) على أساس رأسي أيضا .

ونجد صوت الجيم في قوله (بهيج) مشتركا مع صوت الجيم في قوله (هزيج)على نظام رأسي .

ونجد صوت الدال في قوله (سعد)مشتركا مع صوت الدال في قوله (تعد) على نظام رأسي .

ونجد صوت التاء المربوطة في قوله (الناضرة) مشترك مع صوت التاء المربوطة في قوله (الحنجرة) على نظام رأسي .

وقس على ذلك الالتزام الهندسي الموجود في كل دفقة شعرية في العمل كله مما أفضى إلى نظام هندسي موسيقي لافت للنظر .

الناحية التجديدية الثالثة :

كانت الترجمة الشعرية التي ترجم بها أحمد الشريف القصيدة الإنجليزية لجون كيتس التي بعنوان أنشودة إلى بلبل متسمة بالصعوبة ؛ لأن من أصعب الأعمال ترجمة الشعر إلى شعر وقد زادت الصعوبة حينما التزم أحمد الشريف نظاما موسيقيا خاصا متقمصا ثوب الموشحة ومستندا على عدم استخدام نظام الترجمة الحرفية التي وقع فيها محمد يوسف حينما ترجمها على نظام الشعر الحر الذي يشبه طبيعة الشعر الإنجليزي ، وقد ساعد محمد يوسف استخدامه مجمع البحور حيث استخدم بحري المتدارك (الخبب) ، والمتقارب ؛ كي يساعد نفسه على القدرة على الترجمة ، وإنجازها .

وبذلك يكون أحمد الشريف قد نجح حينما لم يستند على الترجمة الحرفية؛ لأنه استخدم نظام الدفقة الشعورية ، أو الجملة الشعرية في الشعر الحر المشتملة على عدة أسطر التي تصور مشهدا ، أو لقطة ، أو مضمون المشهد ، أو المنظر .

الحواشي :

(١) معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ج ١ ص ٢٤٠ جمع ، وترتيب هيئة المعجم الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٢ طبع مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود للإبداع الشعري الكويت .

(٢) صور وعبر ديوان شعر ص ٦١ لأحمد إبراهيم الشريف طبع مطبعة الحضارة العربية بمصر سنة ١٩٧٢م .

(٣) معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ج ١ ص ٢٤٠ جمع ، وترتيب هيئة المعجم

(٤) معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ ج١ ص ٧٥ باب الألف لكامل سليمان الجبوري منشورات محمد علي بيضون طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ٢٠٠٢م .

(٥) معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ج١ ص ١٠٠باب الألف لكامل سليمان الجبوري .

(٦) ذكر جبور عبدالنور إيضاحا لمصطلح التجديد فقال :

" إتيان بما ليس شائعا ، أو مألوفا وهو على نوعين :

أ ــ ابتكار موضوعات ، أو أساليب تفكير ، أو تعبير تخرج من النمط المعروف ، والمتفق عليه جماعيا .

ب ــ إعادة النظر في الموضوعات ، والأساليب الرائجة ، وإدخال تعديل عليها بحيث تبدو للعيان مبتكرة "

المعجم الأدبي ص ٥٨ لجبور عبدالنور طبع دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩م .

(٧) يقول جبور عبدالنور :

" تقليد : اتخاذ أثر فني نموذجا ، والنسج على منواله إما من حيث المضمون وإما من حيث الأسلوب ، وإما من حيث الاثنان معا "

المعجم الأدبي ص ٧٦ لجبور عبدالنور .

(٨) صور وعبر ص ٣ ، ٤ ديوان شعر لأحمد إبراهيم الشريف طبع مطبعة الحضارة العربية سنة ١٩٧٢م بمصر .

(٩) تاريخ آداب اللغة العربية ج٤ ص ٢٧٥ لجورجي زيدان طبع دار الهلال

(١٠) ازدهار الأدب في العصر العثماني ج ١ ص ٣١ ، ٣٢ للدكتور / أحمد حامد حجازي الطبعة الأولى طبع سنة ٢٠١٢م طبع الدار المصرية للعلوم بالقاهرة .

(١١) ترد نازك الملائكة على من فهموا فهما خاطئا طبيعة الشعر الحر بقولها :

" لعلنا كلنا نعلم أن أغلب القراء ـــ وبينهم ناظمون متمكنون ـــ ما زالوا يجهلون الأساس العروضي الخليلي للشعر الحر إن طائفة منهم تحسبه نثرا لا وزن له مرصوصا على أسطر متتالية بدافع غية صبيانية في نفس كاتبه ، وأنا أميل إلى أن أعتقد بأن الجمهور غير ملزم في فكرته هذه فإنما روج لها بعض الشعراء الكبار من الجيل الماضي وقد راحوا يصرحون في لذة لا تخلو من التشفي أن الشعر الحر ليس موزونا ، وإنما هو نثر "

قضايا الشعر المعاصر ص ٧٠ لنازك الملائكة طبع دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الثامنة سنة ١٩٨٩م .

(١٢) يقول الدكتور / النعمان القاضي :

" يجب أن نفرق بين لونين من ألوان هذا الشعر المنثور . أولهما ما اطرح الإيقاع ، والوزن جملة بما في ذلك تعادل المقاطع ، وتساويها ، واطرادها مع التخلص من القافية . أما الثاني فإنه يفترق عن الأول بأنه ظل يعتد بالقافية

المتقابلة بحيث لا تتحد قافية البيت التالي بل تتحد مع قافية البيت الذي يتلو ما بعده على التعاقب سواء في ذلك الشعر الفرنسي ، والإنجليزي وعلى الرغم من ضرورة التفرقة فهي ليست جوهرية ؛ لأن هذه القافية المنوعة التي يتميز بها اللون الثاني لا ترقى به إلى أن يكون شعرا ما دام قد أهدر الموسيقى ، والوزن وطالما كان لا يعتمد على إيقاع وزن من أوزان العروض العربي "
شعر التفعيلة والتراث ص ١٠ ، ١١ للدكتور / النعمان القاضي طبع دار الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٧٧م .

(١٣) يقول الدكتور / عدنان قاسم :

" اتفقت معظم آراء الواقعيين على أن الشكل الموسيقي التقليدي وزنا وقافية لم يعد قادرا على التعبير عما يكنه الشاعر من عواطف وآمال وأنه عجز عن أن يعبر عن تطلعات الشعراء في التعبير عن آمال مجتمعهم وأمانيه "
الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة نقدية في أصالة الشعر ص ١٨١ للدكتور / عدنان قاسم طبع المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م .

(١٤) صور وعبر ص ٤ ، ٥ لأحمد الشريف .

(١٥) يقول الدكتور / بدوي طبانة :

" بعض أصحاب هذا الشعر الحر ، وأنصاره من المجددين يذهبون أن لهذا الشعر الجديد موسيقاه ، وأوزانه العروضية الخاصة به ، وأن تلك الأوزان مشتقة من الأوزان التقليدية التي استخرجها الخليل بن أحمد ، وبهذا يصلون عروض الشعر الجديد بالعروض العربي القديم "

التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ص ٢٤٥ للدكتور / بدوي طبانة الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠م طبع المطبعة الفنية الحديثة بمصر نشر مكتبة الإنجلو المصرية

(١٦) تقول نازك :

" والواقع أن نظم الشعر الحر بالبحور الصافية أيسر على الشاعر من نظمه بالبحور الممزوجة ؛ لأن وحدة التفعيلة هناك تضمن حرية أكبر وموسيقى أيسر فضلا عن أنها لا تتعب الشاعر " .

قضايا الشعر المعاصر ص ٨٠ ، ٨١ لنازك الملائكة .

(١٧) السابق ص ٨٥ .

(١٨) قضايا الشعر المعاصر ص ٨٥ لنازك وهي تقصد أن أكبر عدد لتفعيلات البيت االخليلي هو ثماني تفعيلات فينبغي على شاعر الشعر الحر ألا يزيد في السطر الواحد عن هذا العدد كي لا نبتعد عن العروض التراثي .

(١٩) تقول نازك :

" على أننا لا نملك إلا أن نلاحظ أن الذين ينادون اليوم بنبذ القافية هم غالبا الشعراء الذين يرتكبون الأخطاء النحوية ، واللغوية ، والعروضية ، ولذلك نخشى أن تكون مناداة بعضهم بها تهربا إلى السهولة ، وتخلصا من العبء اللغوي الذي تلقيه القافية على الشاعر . وأنا أؤمن بأن الحرية ينبغي ألا تمنح إلا لإنسان قادر على أن يلتزم القيود " .

قضايا الشعر المعاصر ص ١٨٩ لنازك الملائكة .

(٢٠) صور وعبر ص ٧ ، ٨ .

(٢١) السابق ص ٥ ، ٦ .

(٢٢) السابق ص ٦ ، ٧ .

(٢٣) راجع مضمون هذا الشرط في : قضايا الشعر المعاصر ص ٨٥ لنازك الملائكة .

(٢٤) صور وعبر ص ٧ لأحمد الشريف

(٢٥) السابق ص ٨ ، ٩

(٢٦) السبق ص ٩ ، ١٠

(٢٧) السابق ص ١٠ ، ١١ لأحمد الشريف

(٢٨) السابق ص ١١ لأحمد الشريف

(٢٩) المقدمة ص ٧٦٣ لعبدالرحمن بن خلدون جوجل الشبكة العنكبوتية على الإنترنت موقع books google .

(٣٠) ذيل مقدمة ابن خلدون المسمى الجوهر المكنون ص ٨٩٩ لوائل حافظ خلف طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان د.ت .

(٣١) صور وعبر ص ١٢ ، ١٣ لأحمد الشريف .

(٣٢) السابق ص ١٣

(٣٣) السابق ص ١٤

(٣٤) السابق ص ٣٧ إلى ص ٥٠

(٣٥) تعد الأقصوصة شكلا من أشكال القصة ؛ لأن أشكال القصة هي الرواية ، والقصة المتوسطة ، والقصة القصيرة ، والأقصوصة ، وتعد الأقصوصة أصغر أشكال القصة من ناحية الحجم .

يقول إبراهيم لمصري :

" إن روعة الفن القصصي ليست في رسم الواقع بل في نوع تصوره أي في الأسلوب المستحدث الطريف الذي يتمثل فيه هذا التصور ، وأنواع التصور الفني تختلف من حيث القوة والضعف باختلاف قوة ملكات الابتكار ، أو ضعفها في نفس القصصي "

أضواء على الأدب والحياة ص ١١ لإبراهيم المصري طبع دار الهلال .

(٣٦) صور وعبر ص ٦٦ : ٦٩ لأحمد الشريف

(٣٧) السابق ص ٢٧ : ٣١

(٣٨) السابق ص ٢٤ : ٢٦

(٣٩) مجلة الثقافة الجديدة العدد الأول ص ١٩ السنة الأولى يناير ١٩٨٠ م مجلة شهرية تصدرها الجمعية المركزية لقصور وبيوت الثقافة بمصر .

(٤٠) السابق ص ١٩ .

(٤١) مناجاة الطيور في الشعر العربي الحديث والمعاصر دراسة أدبية فنية ص ٨٦ للدكتور / طلعت عبدالعزيز أبوالعزم طبع مطبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ٢٠١٧م .

(٤٢) السابق ص ٤٧ .

(٤٣) صور وعبر ٩٠ ، ٩١ لأحمد الشريف

(٤٤) فلورا : آلهة الزهر . راجع : صور وعبر هامش ص ١١٠ لأحمد الشريف

(٤٥) هيثوها : حركوها بالإصلاح . راجع : القاموس المحيط باب الثاء فصل الهاء ص ١٧٨ للفيروزابادي تحقيق محمد العرقسوسي طبع مؤسسة الرسالة بمصر الطبعة الثامنة سنة ٢٠٠٥م .

(٤٦) بروفنس : إقليم بروفانس الفرنسي الشهير بالعنب ، والكروم ، والدفء في الشتاء .

راجع : صور وعبر هامش ص ١١٠ لأحمد الشريف

(٤٧) هيبوكرين : نافورة أبوللو والميوزس التي تصب الرحيق الأحمر . راجع : صور وعبر هامش ص ١١٠ لأحمد الشريف .

(٤٨) باخوس : إله الخمر . راجع : مصادر الدراسات الإسلامية ج ٢ هامش ص ٣٤٤ ليوسف عبدالرحمن المرعشلي طبع دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٢٥هـ موسوعة الكتاب الإسلامي ـ سلسلة البحث والمصادر والمكتبة .

(٤٩) راعوش : هي إحدى شخصيات الكتاب المقدس ، وهي الشخصية الرئيسة في سفر راعوث ، وهو أول سفر مسمى باسم امرأة ؛ نظرا للرتبة الفائقة التي وصلت إليها راعوث .

راجع : ويكبيديا الشبكة العنكبوتية جوجل ـــ راعوث

(٥٠) صور وعبر ص ١٠٦ إلى ١١٠ لأحمد الشريف.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة ، والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وعلى من اتبع سنته إلى يوم الدين ... ثم أما بعد :

فهذا بحثي الذي بعنوان (التجديد في ديوان أحمد الشريف (صور وعبر) درسة نقدية أدبية)

وقد كان الجديد فيه ما يأتي :

أولا :

أن الشاعر الناقد أحمد الشريف يريد أن يقلل من شأن الشعر العربي في عهد العثمانيين أي قبل مائة سنة من مجيء البارودي . ومن وجهة نظري أن هذا التقليل يفضي إلى ظلم الشعر في عهد العثمانيين لأن الواقع في هذا العهد لم يكن مرحلة انحطاط للشعر ، وإنما الذي حدث هو وقوع الشعر في عهد العثمانيين في براثن ترويج أعداء الإسلام لوصم الشعر العربي بالانحطاط ؛ لأسباب سياسية وغيرها ،

ثانيا :

إنني أعترض على قول أحمد إبراهيم الشريف :

" والذي لا تتعدى بلاغته ـــ أي الشعر القديم ـــ ما درسه الشاعر من أسس البلاغة في أروقة الأزهر ، ومساجده "

وسبب اعتراضي هو أن قوله هذا يعطي إيحاء بأن دراسة البلاغة في الأزهر تجعل الشاعر لا يواكب النهضة الحديثة . ولكن الواقع يخالف إيحاءه ؛ لأن دراسة البلاغة في الأزهر تعد ضابطة للغة الشاعر من الناحية التركيبية الفنية والجمالية ، وموجهة له توجيها دقيقا .

ثالثا :

أنا أوافق أحمد الشريف على أن مجمل المراد بالتجديد هو تطوير ، أو تحديث التراث بالإضافة عليه ، أو تعديله بما يناسب العصر مع المحافظة على جوهر هذا التراث ، وهذا هو مضمون قوله :

" فأما التجديد فهو كما أفهمه لفظ يفترض التراث القديم ، والمحافظة عليه في جوهره ، كما يفترض إدخال التعديل عليه بما يجعله مناسبا للعصر "

رابعا :

إنني أختلف مع أحمد الشريف حينما عبر تعبيرا غير دقيق بوسمه الشعر الحر متنازلا عن الوزن في قوله :

" ولقد كانت أكبر سمات هذا الشعر الجديد أنه تنازل عن الوزن "

وسبب اختلافي معه هنا هو أن الشعر الحر قد تنازل عن الوزن عند بعض الناس فخرجوا عن مصطلح الشعر ؛ لأنهم يرويدونه فوضى موسيقية ، وكعبلات موسيقية ، ولم يتنازل الشعر الحر عن الوزن عند غير هؤلاء

خامسا :

إن أحمد الشريف قد أورد معتقد بعض أصحاب الشعر الحر بأن الشعر العمودي يعمل على " إلزام الشاعر بالقهر ، والإرغام أن يضيف إلى أبياته كلاما لا يريده ، ولا يعنيه ، وكل أهميته أنه يكمل الوزن "

وأنا لا أوافق هؤلاء في معتقدهم هذا ؛ لأن قصائد الشعر العمودي القوية لا يوجد فيها حشو وإذا حدث شيء من الحشو فإن عمالقة النقاد العرب القدامى ، والمحدثين يعيبون عليه ويضعون له المسار الصحيح الذي ينبغي أن يكون ، ولا ضير في توجيهاتهم .

سادسا :

إن أحمد الشريف قد أورد معتقد بعض أصحاب الشعر الحر بأن القافية في الشعر العمودي .

" على ما في تعريفها من غموض ، وإبهام قيد عن الانطلاق ، وحرية التعبير . ربما كان له معنى في زمن مضى ولكنه لم يعد له هذا المعنى في الزمن الحديث " .

وأنا لا أوافق معتقد هؤلاء في أن الشعر الحر قد أهمل القافية ، والسبب عندي هو أن نازك الملائكة حينما قننت عروض الشعر الحر لم تدع إلى إهمال القافية ، وإنما أباحت عدم

الالتزام بها بالنسبة للشعراء الفحول الأقوياء فإن وجدت في شعرهم فبها ونعمت ، وإن لم توجد فلا مشكلة في شعر هؤلاء الأقوياء ؛ لأنهم قادرون عليها.

سابعا :

أنا أوافق أحمد الشريف في أنه لابد للشاعر الذي يستخدم الرمز الموغل في الرمز أن يترك مفاتيح للمتلقي في النص الأدبي تساعد هذا المتلقي في التعرف على مقاصد الأديب صاحب النص . وهنا يجوز للمتلقين أن يختلفوا في فهم مقصد الأديب فيذهبوا كل مذهب في ذلك . وهنا ليس الأمر بمقصور على الشعر الحر ، وإنما ينطبق على الشعر العمودي .

وأنا أوافق أحمد الشريف حينما جعل بعض مستويات الرمز تناسب الصفوة من المتخصصين والنقاد مثل مستوى الإسقاط ، وبعض المستويات تناسب الناس العاديين مثل مستوى الرمز الإشاري الموجود في إيحاءات الكلمات وفي الرمز الاستعاري ، والكنائي ، وأمثالهما . وهنا ينطبق ذلك على الشعر العمودي أيضا ، وليس مقصورا على الشعر الحر .

أنا وافق أحمد الشريف في أن التعمية مرفوضة ، والغموض الشديد مرفوض سواء في الشعر الحر ، أو العمودي .

ثامنا :

إن أحمد الشريف حينما اعترض على مضمون الشعر الحر كما يسميه أصحابه ترك المضمون وتكلم عن الألفاظ مثل الطائرة ، والصاروخ ، والمركبة الفضائية ، ومن المعروف أن اللفظ غير المعنى فكان ينبغي عليه أن لا يخلط في المصطلحات ، وربما كان السبب في هذا الخلط هو أصحاب الشعر الحر الجديد الذين خلطوا الكلام عن المضمون فتكلموا عن الألفاظ الحديثة وذلك لا يتصادم مع شعر الأقدمين ، ولا يقلل من شأنهم من وجهة نظري .

وحينما تكلم عن المضمون في الشعر الحر الجديد نسي ، وتكلم عن الغرض الشعري ، أو الموضوع الشعري فأخذ يتكلم عن وصف سير الإبل بين المخيمات فوقع في الخلط ، وربما كان السبب في هذا الخلط هو أصحاب الشعر الحر الجديد أنفسهم حينما اعترضوا على موضوعات شعر الأقدمين عن وصف الإبل ؛ كي يتكموا عن موضوعات جديدة مثل المركبات الفضائية ، ووصف الطيارة ، وكل ما يناسب الأغراض الجديدة ، وهذا لا يقلل من قيمة شعر الأقدمين من وجهة نظري .

تاسعا :

وضح أحمد الشريف عيوب المنادين باستيراد الجدة من الخارج فقط قائلا :

" إن حركة للشعر جديدة كل الجدة مستوردة من الخارج لغرض معين ليس لها في نفس المصري جذور ، ولا في لغة العربي كيان وثيق قد جاءت تدعي أنه ستبذل الشعر حتى يكون في متناول رجل الشارع ، وعابر السبيل ، وأنها ستنقل شعرنا من المحلية إلى العالمية ، ومن عصر الجمل إلى عصر

الصاروخ فاستباحت تحطيم شكل الشعر ، والقضاء على لغة الشعر ولم تجئ بأسلوب يستطيع فهمه المتخصصون بله عابري السبيل ، ولا بمضمون يرتفع عن تهاويم النائم ، وأحلام اليقظان ، وسمادير المخمور "

عاشرا :

تحدث أحمد الشريف عن موافقته التأثر بغير العرب في ميدان الشعر ؛ من أجل التجديد بشرط عدم احتقار الشعر العربي القديم فقال :

" ومنذ مطلع القرن العشرين والشعر العربي يخضع لحركات مختلفة من التجديد فهناك طريقة مطران ، وهناك منهج أبوللو ، وهناك مذهب العقاد ، وأصحاب الديوان ... ، وهناك غير هؤلاء جميعا . منهم من أخذ بالثقافة الفرنسية ، ومنهم من أخذ بالإنجليزية ، ومنهم من اتجه للشرق القريب ، أو البعيد ، وكلهم أنتجوا للشعر العربي ثروة خليقة بالخلود ، وكلهم لم يمنع الشعر السلفي القديم أن يكون له إلى جوارهم مكان "

حادي عشر :

يعد من مظاهر التجديد في موشحة أحمد الشريف التي بعنوان (عين الخلود) توازن الكلمات ، وتوازن الجمل أفقيا ، ورأسيا بطريقة متشابهة مع الوزن الصرفي . وهذا النظام الموسيقي للتجديد يضيف إيقاعا موسيقيا معضدا ، ومقويا لإيقاع الوزن العروضي ، أو إيقاع البحر العروضي .

ثاني عشر :

يعد من مظاهر التجديد في موشحة أحمد الشريف (عين الخلود أو نظرة في مستقبل الإنسان)أنها مطولة شعرية ؛ لأنها تتكون من أربعين بيتا على نظام البيت في الموشح ، وليس على نظام البيت عند الخليل بن أحمد الفراهيدي ؛ لأن نظام البيت عند الخليل يتكون من شطرين لكن البيت في هذه الموشحة يتكون من مطلع ذي غصنين ، وأسماط فالبيت الواحد في الموشحة يشتمل على خمسة

أشطر يتم ضربهم في أربعين يساوي مئاتين من الأشطر . وهذا الكم يحول العمل الفني الشعري هنا إلى مطولة شعرية

ثالث عشر :

يعد من مظاهر التجديد في موشحة أحمد الشريف (عين الخلود أو نظرة في مستقبل الإنسان) أنها قريبة من قصص الخيال العلمي . وذلك أنه قد جرت العادة على أن قصص الخيال العلمي يكون في إطار فني مسرحي ، أوقصصي ، أو مقال ولا يكون في إطار موشحة . ومن هنا كانت هذه الموشحة لافتة للنظر في أحاديثها عن المستقبل بدليل أن أحمد االشريف قد ذكر لها عنوانا يتناسب مع هدفها فقال " عين الخلود أو نظرة في مستقبل الإنسان "

رابع عشر :

تجديد أحمد الشريف في الأقصوصة الشعرية :

وذلك أنه ألف قصيدة بعنوان (شيطان شعري) في إطار شكل من الأشكال القصصية . وهو شكل الأقصوصة فجاء العمل الفني هنا مشتملا على سمات من الأقصوصة ،إضافة إلى سمات الشعر فحدث في هذا العمل تداخل الأنواع الفنية .

خامس عشر :

توجد عناصر الرسالة الشعرية في قصيدة أحمد الشريف التي بعنوان (طائر بين السماء وحديقة الحيوان) على الرغم من أنها قد جرت العادة على أن تكون الرسالة نثرا فعمل الشريف على تجديد شعره بإدماج الرسالة الفنية في هذه القصيدة .

سادس عشر :

جدد أحمد الشريف من خلال الاشتراك مع شاعر غيره في بناء قصـــيدة بعنوان (قصيدة تكتمل) حيث اشترك فيها مع عباس محمود العقاد .

سابع عشر :

جدد أحمد الشريف في ترجمة بعض القصائد الأجنبية شعرا .

والله الموفق ،،،،

المصادر والمراجع

١ ــ الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة نقدية في أصالة الشعر للدكتور / عدنان قاسم طبع المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م .

٢ ــ أضواء على الأدب والحياة ص ١١ لإبراهيم المصري طبع دار الهلال .

٣ ــ ازدهار الأدب في العصر العثماني ج للدكتور / أحمد حامد حجازي الطبعة الأولى طبع سنة ٢٠١٢م طبع الدار المصرية للعلوم بالقاهرة .

٤ ــ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان طبع دار الهلال

٥ ــ التيارات المعاصرة في النقد الأدبي للدكتور / بدوي طبانة الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠م طبع المطبعة الفنية الحديثة بمصر نشر مكتبة الإنجلو المصرية .

٦ ــ ذيل مقدمة ابن خلدون المسمى الجوهر المكنون لوائل حافظ خلف طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان د.ت .

٧ ــ الشبكة العنكبوتية جوجل مكتبة دار النور ترجمات محمد يوسف

٨ ــ شعر التفعيلة والتراث للدكتور / النعمان القاضي طبع دار الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٧٧م .

٩ ــ صور وعبر ديوان شعر لأحمد إبراهيم الشريف طبع مطبعة الحضارة العربية بمصر سنة ١٩٧٢م .

١٠ ــ القاموس المحيط للفيروزابادي تحقيق محمد العرقسوسي طبع مؤسسة الرسالة بمصر الطبعة الثامنة سنة ٢٠٠٥م .

١١ ــ قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة طبع دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الثامنة سنة ١٩٨٩م .

١٢ ــ مجلة الثقافة الجديدة العدد الأول السنة الأولى يناير ١٩٨٠ م مجلة شهرية تصدرها الجمعية المركزية لقصور وبيوت الثقافة بمصر .

١٣ ــ مصادر الدراسات الإسلامية ليوسف عبدالرحمن المرعشلي طبع دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٢٥هـ موسوعة الكتاب الإسلامي ـــ سلسلة البحث والمصادر والمكتبة .

١٤ ــ معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م لكامل سليمان الجبوري .

١٥ ــ المعجم الأدبي لجبور عبدالنور طبع دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩م .

١٦ ــ معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين جمع ، وترتيب هيئة المعجم الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٢ طبع مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود للإبداع الشعري الكويت .

١٧ ــ معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ لكامل سليمان الجبوري منشورات محمد علي بيضون طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ٢٠٠٢م .

١٨ ــ المقدمة لعبدالرحمن بن خلدون جوجل الشبكة العنكبوتية على الإنترنت موقع books google .

١٩ ــ مناجاة الطيور في الشعر العربي الحديث والمعاصر دراسة أدبية فنية للدكتور / طلعت عبدالعزيز أبوالعزم طبع مطبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ٢٠١٧م .

٢٠ ــ ويكبيديا الشبكة العنكبوتية جوجل ـــ راعوث .